الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم

كلّية الآداب و الفنون

قسم الأدب العربي

تأويل الفعل الاستعاري بين بلاغة عبد القاهر الجرجاني وتداولية جون سيرل

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي تخصص

لسانيات و تحليل الخطاب

إعداد الطالبة:

صيرة خليفة

إشراف الدكتور:

عمر معراجي

السنة الجامعية: 2015-2016م

إهداء

يا من أحمل اسمك بكلّ فخر، يا من أفتقدك منذ الصغر، يا من يرتعش قلبي لذكرك، يا من أودعتني لله أهديك هذا البحث

(أبي)

إلى من أرضعتني الحب و الحنان، إلى رمز الحب و بلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض، إلى من كان دعائها سر نجاحي

(والدتي الحبيبة)

إلى القلوب الطّاهرة الرقيقة، إلى سندي في هذه الدنيا، إلى رياحين حياتي

(إخوتي)

إلى من آنسني في دراستي و شاركني همومي تذكارا و تقديرا

(أصدقائي)

كلمة شكر

نخصّ بالشكر الجزيل و العرفان

إلى كلّ من أشعل شمعة في دروب عملنا

و إلى من وقف على المنابر و أعطى من حصيلة فكره لينير دربنا

إلى الأساتذة الكرام في قسم اللّغة العربية و خاصة الأستاذة سامية بن يامنة والأستاذة فاطمة داود الله يشفيها و يعيدها إلى القسم سالمة إن شاء الله.

و نتوجّه بالشكر الجزيل إلى الدكتور "عمر معراجي" الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، فجزاه الله عنّا كلّ خير فله منا كلّ التقدير و الاحترام

إلى أعضاء اللجنة المناقشة الذين سيتكرّمون بقراءة هذا البحث، و بتقديم ملاحظاتهم لتقويم هذا البحث و تصويبه و إثرائه.

"كن عالما..فإن لم تستطع فكن متعلّما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

أروع ما قاله الجرجانى فى الاستعارة

"تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللّفظ حتّى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، و تجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر . و إذا تأمّلت أقسام الصّنعة التي بها يكون الكلام في حدّ البلاغة ، ومعها يستحقّ وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها ، و تقصر عن أن تنازعها مداها ، و صادفتها نجوما هي بدرها ، و روضا هي زهرها ، و عرائس ما لم تعرها حليها فهي عواطل ، و كواعب ما لم تُحسّنها ، فليس لها في الحسن حظ كامل . فإنّك لترى الجماد بها حيّا ناطقا ، و الأعجم فصيحا ،و الأجسام الخرس مُبينة ، و المعاني الخفيّة بادية جليّة ، و إذا نظرت في أمر المقاييس ؛ وجدتها ولا ناصر لها أعزّ منها ،ولا رونق لها ما لم تزنها ، و تجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكُنْها ،إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنها قد جُسِّمت حتّى رأتها العيون ، و إن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانيّة حتّى تعود روحانيّة لا تنالها إلاّ الضنون"

أسرار البلاغة ص23

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين و على آله و صحابته الكرام أجمعين، الذين اصطفاهم الله ليكونوا أئمة في الدين و في اللسان العربي المبين و بعد:

خلق الله الكون بما فيه من كائنات، وميّز كلا منها بخصائص ومميزات، و فضّل الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل و التفكير، و التدبير و التسيير، فأودع فيه قدرات عقلية تمكّنه من فهم العالم من حوله، يتعامل و يتفاعل معه ضمن آلية التأويل العقلي.

فالتأويل حاجة ضرورية أودعها الله في عقل الإنسان لفهم كلّ غامض و مبهم من حوله. و أوّل ما احتيج إلى تأويله هو النص الديني؛ لأنّه احتوى في كثير من كلامه غموضا و إبهاما لا يفهم إلاّ بإعمال العقل فيه بالتدبير و التفكير و التفسير. ثم انتقلت حاجة التأويل إلى النصوص البشرية باختلاف أنواعها؛ لأنّها احتوت هي الأخرى على أساليب لغوية مختلفة تستدعي إعمال الفكر و العقل لفهمها.

ومن بين تلك الأساليب اللغوية الاستعارة التي لقيت اهتماما كبيرا منذ القدم من قبل علماء اللغة العرب منهم و الغرب، ولا يزال الاهتمام بها قائما إلى يومنا هذا؛ لما تحويه من خصائص و مميزات جعلتها تتصدّر مباحث البلاغة عند العرب، خاصة عبد القاهر الجرجاني الذي جعل لها قسطا وافرا في كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز.

و الاستعارة في الحقيقة لا تقتصر على الخيال الشعري و الزخرف البلاغي، ولا تنحصر في الاستعمالات اللغوية غير العادية، بل على العكس من ذلك؛ لأنّ الاستعارة حاضرة في استعمالاتنا اللغوية اليومية، بل حتّى في تصوّراتنا للأشياء؛ فعندما نتصوّر أنّ الجدال حرب و بأنّ الحب سفر...إلخ ، أليس هذا إلاّ تصوّرا بنيْناهُ على أساس استعاري يجعلنا نتواصل وفقه ضمن مقولات تجسّد طبيعة تفكيرنا و تصوّرنا الاستعاري؟ مثل قول أحدهم:" لا يمكن أن تدافع عن إدعاءاتك، أصابت انتقاداته الهدف، إنّه يسقط جميع براهيني..."[1] ، فليس هذا إلاّ دليل على أنّ الاستعارة تتعدّى الكلام الإبداعي الأدبي إلى ما هو متداول و مستعمل يوميا بين الناس، ومنه يمكن القول: إنّ الاستعارة فعل تداولي، وهذا

[1]) ينظر، جورج لايكوف و مارك جونسن ، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر،ط2، 2009،ص21-22.

ما تحدّث عنه جون سيرل ضمن نظرية الأفعال الكلامية، إذ عدّ الاستعارة فعلا تداوليا غير مباشر يتطلّب تأويلا لفهمه .

من هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث الذي أوسمناه بعنوان"تأويل الفعل الاستعاري بين بلاغة عبد القاهر الجرجاني و تداولية جون سيرل" ، هي محاولة للمقاربة بين عالِمين ينتميان إلى عالَمين مختلفين و ثقافتين متباينتين و زمانين متباعدين، اهتمّا كليهما بالاستعارة و بتأويلها ، بدافع الكشف عن نقاط التلاقي بين الفكرين في كيفية فهمه للوجود وطريقة تفسيره للغموض، واخترت الاستعارة لما تحويه من جمال و تأثير يدفع بالقارئ و المؤوّل إلى توظيف خياله للحصول على المعاني الخفية التي تبرز من خلال آلية التأويل.

وعليه جاءت إشكالية هذا البحث في حدود جملة من التساؤلات هي كالآتي:

- ماهي الفروق الجوهرية في نظرة كلا الثقافتين إلى الإجراء التأويلي؟.
- وما مدى تأثير مستوى التلقّي في عملية التأويل؟.
- وما هي نقاط التلاقي بين التأويل البلاغي و التأويل التداولي؟.
- وبالتالي من أي وجهة يلتقي فيها عبد القاهر مع سيرل في تأويلهما للاستعارة ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا أن نتّبع خطّة تقوم على مدخلٍ و فصلينِ :

تناولنا في المدخل الخلفية الفلسفية و المنهجية و المعرفية لظاهرة التأويل عبر مراحل زمنية متعاقبة في الثقافتين الغربية و العربية ؛ ففي الثقافة الغربية من عصر أفلاطون و أرسطو إلى العصر المعاصر، في حين تناولنا في الثقافة العربية ظاهرة التأويل في عصر الصحابة رضوان الله عليهم وعند مختلف العلماء باختلاف توجّهاتهم و تخصّصاتهم من علماء الأصول و فلاسفة و علماء النحو و البلاغة .

أمّا الفصل الأوّل فهو نظري ، وتطرّقنا فيه إلى المفهوم اللّغوي و الاصطلاحي عند العرب و الغرب ، ثم بحثنا في دور مستويات التلقّي في اختلاف و تعدّد التأويلات ضمن نظرية القراءة أو التلقّي، ثم حاولنا أن نرصد أهم المباحث التي تخدم موضوعنا و التي تعدّ نقطة التقاء التداولية بالبلاغة.

أمّا الفصل الثاني فكان بين النظري و التطبيقي، ففي النظري بحثنا عن أعمال الجرجاني و سيرل فيما يخصّ الاستعارة ورصد أهم المبادئ و القواعد التي وضعها كليهما في تأويلها ، أمّا التطبيقي حاولنا فيه تطبيق مبادئ سيرل في تأويل بعض النماذج التي درسها عبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز. لينتهي البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتحصّل عليها من خلال هذه الدراسة. معتمدين في كلّ تلك الخطوات المنهج التحليلي الوصفي، حيث حاولنا وصف ظاهرة تأويل الاستعارة و تحليل الآراء النقدية المختلفة.

و ككلّ بحث لا يخلو من صعوبات يواجهها أيّ باحث في إنجاز بحثه ، تعرّضنا لصعوبات أهمّها اتساع مجال التأويل و تضارب الآراء بين العلماء في تناوله، فحاولنا انتقاء أبرزها و تبسيط نظرة كلّ عالم إلى التأويل قدر المستطاع هذا من جهة، ومن جهة أخرى نقص المراجع التي تناولت التأويل الاستعاري عند عبد القاهر، أمّا فيما يخصّ المراجع التي تناولت التأويل الاستعاري عند سيرل فتكاد تكون منعدمة .

ومن المصادر و المراجع التي اعتمدناها في إنجاز هذا البحث: أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر و كتاب المعنى و العبارة لجون سيرل كمصادر أساسية في البحث إضافة إلى مصادرو مراجع أخرى في التأويل و البلاغة و التداولية و نظرية التلّقي و القراءة منها: فلسفة التأويل لغادامير، الفلسفة و التأويل لنبيهة قارة، مفتاح العلوم للسكّاكي ، في اللسانيات التداولية لخليفة بوجادي، نظرية القراءة لعبد الملك مرتاض ، كما اعتمدنا بعض المعاجم اللغوية و الفلسفية مثل : لسان العرب لابن منظور، مقاييس اللغة لابن فارس،المعجم الفلسفي لجميل صليبا، موسوعة لالاند الفلسفية لأندريه لالاند ، وغيرها من المصادر و المراجع.

و في الأخير نتمنى التوفيق من الله عزّ وجل، ونتقدم بالشكر الخالص لأستاذنا الكريم عمر معراجي وإلى كلّ أساتذة قسم اللغة العربية.

نصيرة خليفة
في يوم الأربعاء 04 ماي 2016.

مدخل تاريخي نقدي لظاهرة التأويل

يعتبر التأويل ظاهرة لها أهميتها في تاريخ الفكر الإنساني ، و تمتد جذوره إلى قدم الثقافات الإنسانية الإغريقية منها و العربية على السّواء . فحاجة الإنسان لفهم النصوص الدينية دفعته إلى إعمال عقله للوصول إلى حقيقة تلك النصوص عن طريق عملية التأويل ، لما يحويه من"مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل [1]فالعقل الإنساني "عقلا تأويليا" .التي تتضافر [2]المعرفة كالإدراك ،والتداعي ،و الذاكرة،والتخيل ،والحكم ، والاستدلال" فيما بينها لتوصلنا إلى الفهم .و هذا الفهم ينتج لنا تأويلا.

الذي يفوق عملية الإدراك السطحية للأمور ،فيتعدّاها [3] فالتأويل إذن هو "فن الفهم" إلى ما هو أعمق و أبعد من ذلك.و هذا ما يعادل البحث عن معنى المعنى عند الجرجاني حين يقول:"وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ،و لكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة،ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها ؛ إذ لكلّ نص ظاهر و باطن ، ففي الظّاهر نكتفي بالفهم و التفسير أمّا في [4]إلى الغرض" الباطن فلا يسعنا إلاّ التأويل.

من هذا المنطلق يمكن رصد وجه الاختلاف بين التفسير و التأويل . فإذا كان كليهما يسعى إلى الكشف عن معنى النص و قصدية المؤلّف، فإنّهما يختلفان في كون التفسير يبحث في ظاهر اللّفظ ، أمّا التأويل يسعى إلى تجاوز قصدية المؤلّف إلى البحث عن الرموز الكامنة في النص،و الكشف عن الدلالة الموضوعية في النصوص التي تحمل أكثر من مدلول، ومنه التأويل أوسع من التفسير[5] و أعمق بحكم استخدامهما في تراثنا العربي. فكلمة تفسير وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا "[6] .

---

[1])نبيهة قارة ،الفلسفة و التأويل ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت لبنان،ط1،يناير1998،ص5.
[2])جميل صليبا،المعجم الفلسفي ،ج2،دار الكتاب اللبناني ،لبنان1883 ،ص88.
[3])مختار لزعر ، التأويلية من الرواية إلى الدراية،ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ،الجزائر2007،ص ث.
[4])عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية،بيروت ،لبنان،2007،ص272.
[5])ينظر،بسام قطوس ،المدخل إلى مناهج النقد المعاصر،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،مصر،ط1، 2006،ص 201.
[6]) الفرقان آية 33 .

و يذهب ابن كثير[1] في تفسيره لهذه الآية بأنّه"لا يقولون قولا يعارضون به الحق ، إلاّ أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، و أبين و أوضح و أفصح من مقالتهم"[2].فهنا استخدمت كلمة تفسير بمعنى الواضح البيّن ، وهذا المعنى لا يعكس المقصود من العمليات العقلية السّالفة الذكر التي يقوم بها الذهن لمحاولة فهم موضوع ما ، والذي هو معنى التأويل .

أمّا كلمة تأويل استخدمها قدامى المفسّرين أمثال محمد بن جرير الطبري[3] حين يبدأ دائما تفسيره للآية بقوله :"القول في تأويل قوله تعالى" [4]ممّا يؤكّد أنّ مصطلح التأويل هو الأمثل للدلالة على العمليات الذهنية العميقة في فهم النصوص[5] .

و لفظة التأويل تحيلنا إلى كلمة التأويلية التي "تداخلت دونما قيد أو شرط مع فكرة الإجراء التأويلي ، غير أنّها تنفرد من حلقة التأويل البسيطة و العادية في كونها تسعى إلى تأسيس النظرية "[6] ، ومنه يمكن القول إنّ التأويلية هي علم التأويل الذي يهتم بوضع الأسس الأسس والمناهج لعملية الفهم .

---

[1]) أبو الفداء عماد الدبن إسماعيل بن عمر بن كثير ، عالم مسلم وفقيه و مفت و محدّث و حافظ و مفسّر و مؤرّخ ،ولد في سوريا سنة 701 ه ، تفقّه على يد الشّيخ ابراهيم الفزازي ، قرأ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا ، من مؤلّفاته ، تفسير القرآن العظيم المعروف ب"تفسير ابن كثير"، جامع المسانيد ، البداية و النهاية ...وغيرها ، توفّي في خميس 26 شعبان 774 ه. عن
بن كثير https://ar.wikipedia.org/wiki/ 06/ 04/2016 23:00

[2]) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، تحقيق سامي بن محمد السّلامة ، ج6 ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط2، 1999،ص109 .

[3]) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (224ه-310ه) ، إمام من أئمّة المسلمين من أهل السنة و الجماعة ، مؤرّخ و مفسّر و فقيه ومسلم ، صاحب أكبر كتابين في التفسير و التاريخ ، يعتبر من أكثر علماء الإسلام تأليفا و تصنيفا ، من مؤلّفاته : تفسير الطبري ، تاريخ الطبري ، صريح السنّة ، آداب القضاة ، تهذيب الآثار...و غيرها .عن
محمد بن جرير الطبري https://ar.wikipedia.org/wiki/ 06/04/2016 23 :30

[4]) محمد بن جربر الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج9 ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط2 ، 1972 ، ص455 .

[5]) ينظر نصر حامد أبو زيد ، التأويل في كتاب السيبويه ، من كتاب الهرمينوطيقا و التأويل (تأليف مشترك من باحثين) ، دار قرطبة للطباعة و النشر ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1993 ، ص 88 - 89 .

[6]) مختار لزعر، التأويلية من الرواية إلى و الدراية ، ص16 .

وهذا المفهوم للتأويل يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح herméneutique المشتق من اليونانية hermenia أي فن التأويل [1] ؛ إذ انقسم النقاد العرب المعاصرين في ترجمته منهم من ترجمه بالتأويلية و منهم من اكتفى بتعريبه ب"الهرمينوطيقا" ، حيث يستهجن الدكتور عبد الملك مرتاض[2] لفظة هرمينوطيقا حين يقول :"وهو من أسوء الاستعمالات اللّفظية نطقا و سمعا في اللّغة العربية المعاصرة ، و أشدّها إزعاجا للسّمع ، و ربّما دلّ ذلك على شيء من سوء الذوق لدى صاحبه ....ذلك بأنّ التأويلية أجمل وقعا ، و أدلّ دلالة ، وأعذب صوتا"[3] .

و مرّت التأويلية بمرحلتين أساسيتين هما : التأويلية الكلاسيكية التي تناولت النصوص الدينية كالقرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف عند العرب ، و الكتاب المقدّس عند الغرب كما تناولت النصوص الفلسفية أيضا . و التأويلية المعاصرة التي وسّعت مجال نشاطها إلى أنواع مختلفة من النصوص ، سواءً التي تتّسم بالعمق و الإشكال و أيضا الأعمال الأدبية العادية . فتحوّلت التأويلية الحديثة من آليات تفسير نصوص ذات مكانة خاصّة إلى علم يُعنى بعملية الفهم ، وانتقالها من البحث عن الدلالة المعنوية و مقاصد المؤلّفين إلى المتلقي و طريقة فهمه . أمّا في الثقافة العربية تحوّلت من البحث عن المعنى الأصلي أي الأوّل إلى البحث عن أثر النص[4] .

و من هنا يمكن طرح الاشكالية الآتية ؛ إذا كان الإجراء التأويلي للنصوص قد اعتمدته الثقافتين العربية و الغربية على السّواء ، فهل التأويل العربي نشأ من الخلفية الفلسفية والفكرية نفسها التي نشأ فيها التأويل الغربي ؟ . لانستطيع الإجابة عن هذا التساؤل إلاّ إذا

---

[1]) ينظر ، نبيهة قارة ، الفلسفة و التأويل ، ص5 .

[2]) عبد الملك مرتاض : أستاذ جامعي وأديب جزائري ، ولد في 10 أكتوبر 1935 في تلمسان ، حاصل على الدكتوراه في الأدب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية 2001 م ، يعدّ مرجعا في الدراسات الأدبية و النقدية ، من مؤلّفاته : نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، نار و نور ، هشيم الزمن ، قضايا الشعريات ، نظرية القراءة. عن
https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد الملك مرتاض 06/ 04/2016 23: 45

[3]) عبد الملك مرتاض ، نظرية القراءة ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2003 ، ص182 .

[4]) ينظر ، عبد الملك مرتاض ، نظرية القراءة ،ص186 / نصر حامد أبو زيد ، التأويل في كتاب السيبويه ، ص5 / بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، ص203 .

تجوّلنا في تاريخ نشأة كلّ منهما عبر مراحل تطوّرهما قدر الإمكان .فلا يمكن تجاوز التراث الفلسفي الغربي لأنّه منبع الأفكار الفلسفية المعاصرة ، وعلى هذا يجب المرور بالفكر الفلسفي الغربي ، لنصل إلى فهم كامل للنظريات التأويلية داخل الفكر العربي الإسلامي [1].

يكشف التراث الفلسفي الغربي عن أبحاث حاولت طرح إشكالية فن التأويل ، وهي "نص أيون" لأفلاطون platon[2] الذي انتهى فيه بنقد صارم للمؤوِّل ، فالتأويل عنده مهما اكتسب ممارسة و مهارة لا يمتّ بصلة إلى المعرفة و العلم ولا يمثّل حتّى مجرّد تقنية ، فالفيلسوف عنده يرفض الولوج إلى دائرة التأويل السحرية [3] .

أمّا أرسطو Aristote[4] تعرّض للتأويل من خلال مبحث peri hermenias في كتابه الأورغانون ، تحدّث فيه عن التأويل ضمن مسألة التعارض بين الإثبات و النفي ؛ فالإثبات عند أرسطو هو بيان أنّ شيئا ما يتعلّق بشيء آخر ، و النفي بيان أنّ شيئا ما منفصل عن شيء آخر ، ومنه فكلّ خطاب يقول شيئا بخصوص شيء معيّن ، يؤول في النّهاية إلى قول شيء آخر ، و هذا المعنى يقرّه علم الدّلالة لمفهوم التأويل . إلاّ أنّ هذا

---

[1]) ينظر ،عمارة ناصر ، اللّغة و التأويل ،مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص53 .

[2]) أفلاطون : هو ارستوكليس بن ارستون (427 قم – 347 قم) ، فيلسوف يوناني كلاسيكي و رياضياتي ، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية ، يعتبر مؤسّس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي ، معلّمه سقراط ، و تلميذه أرسطو ، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية و العلوم ، من أهم أعماله المحاورات الفلسفية التي جعلها مؤرّخو القرن التاسع عشر في ثلاث مجموعات : محاورات المرحلة المبكرة (السقراطية) ، محاورات المرحلة الوسطى(الإنشائية) ، محاورات المرحلة الأخيرة(الديالكتيكية).عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/ أفلاطون 07 /04/2016 14 :00

[3]) ينظر، نبيهة قارة ، الفلسفة و التأويل ، ص6 .

[4])أرسطو(384قم-322قم) أو أرطوطاليس، فيلسوف يوناني،تلميذ أفلاطون و معلم الإسكندر الأكبر،وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدّة:الفيزياء، الميتافيزيقيا، الشعر، المسرح، الموسيقى، المنطق، البلاغة، اللغويات، السياسة و الحكومة،الأخلاقيات، علم الأحياء، علم الحيوان،وهو واحد من أهم مؤسّسي الفلسفة الغربية، من مؤلّفاته: المنطق، الطبيعة، ماوراء الطبيعة، الأخلاق و السياسة، الخطابة و الشعر.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة :
https://ar.wikipedia.org/wik/أرسطو 07/04/2016 14 :30

الخطاب الذي يذكر شيئا بخصوص شيء لا يهمّ أرسطو إلاّ من حيث كونه موطن الحقّ و الباطل[1] .

فالتأويل الأرسطي هو فهم لمنطق العبارة أي دلالة الجملة التي تقبل الصدق أو الكذب[2].وهذا المشروع يحول دون تعدّدية التأويل ، فمعنى الدلالة يقتضي المحافظة على المعنى نفسه في مختلف أشكاله حيث يقول أرسطو بأنّه ما لا يعني شيئا واحدا لا يعني شيئا البتّة . ومنه تأسيس نظرية في التأويل تعتمد على تعدّد المعاني بقي معلقا ، ولم يمنح التأويل حقّ الوجود لدى الفلاسفة[3] إلاّ بعد حقب زمنية متوالية الواحدة تلوى الأخرى ، شهدت فيها الممارسات التأويلية تحوّلا كبيرًا عبر العصور ، فترى التأويل في مراحله تلك يمرّ بدهليزٍ طويل يحوي أبوابا كثيرة ، و كلّ باب يجسّد محطة من محطّات تحوّله.

ففي العصرالوسيط ارتبط التأويل بتفسير كتاب التوراة و كان يعني عند توما الأكويني Thomas D'Aquin[4] اكتشاف الدلالة المتوارية في النص ، ومع مجيء عصر النهضة أصبح تأويل الكتابات المقدّسة أكثر تركيبا حيث نادى رجال التفسير اليهوديين بلا محدودية التأويل، لكن في عصر سلطة الكنيسة ، سعت هذه الأخيرة إلى ضبط تعددية التأويل المقدس باستعمال علم الفيلولوجيا[5] و التاريخ في دراسة النصوص بغية الوصول إلى فهم عقلاني

---

[1]) ينظر ، نبيهة قارة، الفلسفة و التأويل ، ص7 .

[2]) ينظر ، عمارة ناصر ، اللغة و التأويل ، ص68 .

[3])ينظر ، نبيهة قارة ، الفلسفة و التأويل ،ص8 .

[4]) توما الأكويني : قسيس و قديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكاتية ، وفيلسوف و لاهوتي ، و الأكويني نسبة إلى محل إقامته في أكوين ، ولد عام 1225م مملكة صقلية ، يرتبط بسلالة هوهنستوفن إحدى سلالات إمبراطور روما المقدس ، يعتبره العديد من المسيحيين فيلسوف الكنيسة الأعظم لذلك تسمّى باسمه العديد من المؤسّسات التعليمية.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/توما الأكويني 08 /04/2016 18 :30

[5]) الفيلولوجيا : الدراسة القائمة على دراسة و تفسير النصوص القديمة مستحضرة في دراستها هذه اللغة ليست كغاية في ذاتيتها و إنّما كوسيلة فقط ، وعليه راح هذا العلم الفيلولوجي يتخد في دراسته للنصوص ليس غاية في حدّ ذاته و إنّما وسيلة قصد معرفة ما هو خارج عنه .عن حنيفي بناصر ، مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص42 .

للتوراة ، ومع مجيء الفيلسوف و المفكر باروخ سبينوزا Baruch Spinoza [1] عمد إلى قراءة التوراة وفق ما يتناسب مع حركية الفكر ، لكن في القرن الثامن عشر اقترح شلايرماخر Schleiermacher [2] تفكيرا تجديديا للتأويل ، حيث رأى أنّ الغموض في النصوص ليس لكونها مقدّسة ، بل لبعد زمن النص عن زمننا ، ومن هنا أصبح التأويل يشمل كلّ النصوص بأنواعها[3].

كما بدأت الممارسات التأويلية تعي برهانها الفلسفي ، فتعلّق استعمالها بثلاث مستويات ؛ مستوى ميتودولوجي من حيث إنّها تعيّن صنفا من المناهج يستمدّ نموذجه من الأشكال المختلفة لتأويل النصوص ، و مستوى ابستمولوجي من حيث استعمالها للدلالة على نمط التفكير أو النظر العقلي المتعلّق بالمناهج التأويلية ، و مستوى فلسفي باعتبارها نوعا معيّنا من الفلسفة انطلاقا من نظرة خاصّة للوجود أو للشعور أو العقل[4] .

فنجد تصوّر شلايرماخر للتأويلية بأنّها علم الفهم أو فن الفهم ، وهو تصوّر ينقد النظرة الفيلولوجية ، لأنّه تجاوز مفهوم التأويلية على أنّها مجموع قواعد مترابطة نسقيا ، وجعلها علما يصف الشروط اللاّزمة للفهم في أيّ حوار ، و بهذا تحولت التأويلية الفيلولوجية إلى تأويلية عامّة لجميع النصوص بأنواعها [5]،بل و أكثر من ذلك إذ جعل منها نظرية للفهم أيضا .

---

[1])باروخ سبينوزا : فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17، ولد في 24 نوفمبر 1632 م في أمستردام ، و توفي في 21 فبراير 1677 في لاهاي ، من مؤلفاته : الأخلاق ، مبادئ الفلسفة الديكارتية ، رسالة في اللاهوت و السياسة.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة :
https://ar.wikipedia.org/wiki/باروخ سبينوزا 07/04/16,12 :30

[2])شلايرماخر : فيلسوف ألماني لاهوتي وعالم الكتاب المقدس ، ولد في نوفمبر 1768 ، توفي في 1834 م في سن 65 عاما من الالتهاب الرئوي ،راح يهتم بالجانب الروحي الباطني للدراسات اللاهوتية على وجه العموم ثم الدراسات اللغوية على وجه الخصوص . من مؤلفاته : خطاب حول الدين ،المناجاة ، عرض جديد للإيمان المسيحي. عن مختار لزعر،التأويلية،ص42.

[3]) ينظر ، مليكة دحمانية ، فصول في القراءة و التأويل من خلال نماذج غربية معاصرة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي ، قسم اللغة العربية ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 – 2011 ، ص51 .

[4]) ينظر ، نبيهة قارة ، الفلسفة و التأويل ، ص60 .

[5]) ينظر ، عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا ، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير ، رؤية R للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص72 .

فالفهم عند شلايرماخر منبثقا من الحياة و نابعا من علاقة بالحياة .وهذا التصوّر كان ملهما لفلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey[1] ومنطلقا لفكره التأويلي . إذ جعل دلتاي هدفه الفهم النابع من الحياة ذاتها ، فأسهم إسهاما كبيرا في توسيع نطاق التأويلية بوضعها في سياق التأويل في الدراسات الإنسانية ، و تأكيده على تاريخية الوجود الإنساني و على ضرورة فهم الإنسان بوصفه موجودا تاريخيا في جوهره ، و بهذا أرسى الأسس لتفكير مارتن هيدغر Martin Heidegger[2] في زمانية الفهم الذاتي[3].

أمّا في العصر المعاصر أراد الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل Edmund Husserl[4] من خلال فلسفته الرد على أصحاب النزعة العلمية و البحث عن منهج بديل للعلوم الإنسانية و الذي تمثّل في المنهج الظاهراتي أو الفينومينولوجي[5] الذي يقوم على

---

[1]) فلهلم دلتاي (1833 – 1911): كان فيلسوف و طبيب نفساني ألماني ، يعتبر من الفلاسفة الأكثر نفودا في فلسفة الحياة ، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالحركة التاريخية أو بفلسفة التاريخ ، التي اعتبرها فلسفة للفهم ، التي هي أداة للكشف عن الحياة في الحياة .
أحد ثوابت فكر دلتاي ، الوعي بتاريخية الموجود البشري ، إذ الإنسان تاريخي لأنّه يعيش في الزمان و لا يتحدّد وجوده في نهاية المطاف ، إلاّ بالميلاد و الموت ، ويتألّف من سلسلة حلقاتها " ماضي و حاضر و مستقبل " ، والعلاقة بين الأفراد تاريخية أيضا ، ومنه عالم الإنسان هو عالم تاريخي.عن https://ar.wikipedia.org/wiki 07/04/2016 23 :34

[2]) هيدغر: فيلسوف ألماني (26 سبتمبر 1889-26 مايو 1976) ، ولد جنوب ألمانيا ، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسّس الظاهريات ، ثم أصبح أستاذا فيها عام 1928 ، وجّه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود و التقنية و الحرية و الحقيقة و غيرها من المسائل ، ومن أبرز مؤلّفاته : الوجود و الزمان 1927 ، دروب موصدة 1950 ، ما الذي يسمّى فكرا 1954 ، المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا 1961 ، نداء الحقيقة في ماهية الحرية الإنسانية 1982 ، نيتشه 1983 .عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/ مارتن هايدغر 07/04/16,12 :50

[3]) ينظر ، عادل مصطفى ، فهم الفهم ، ص111 -155 .

[4]) إدموند هوسرل : فيلسوف ألملني (1859- 1938) ، اهتم بالدراسات العلمية و خاصة الرياضيات ، شغل منصب أستاذ في عدّة جامعات ،نشر عدّة بحوث في مختلف التخصّصات كالمنطق و الفلسفة ، والفلسفة الظاهراتية ، و أزمة العلوم في أوروبا . من مؤلّفاته : فلسفة علم الحساب 1891 ، بحوث منطقية 1901 ، الفلسفة علما دقيقا 1911 ، أفكار مقدمة عامة لفلسفة ظاهرية خالصة 1913 ، المنطق الصوري و المتعالي 1929 ، تأمّلات ديكارتية 1932 ، أزمة العلوم الأوروبية و الظاهراتية المتعالية 1936 ، التجربة و الحكم 1939 . عن مختار لزعر، التأويلية،ص48.

[5]) الفينومينولوجيا (الظاهراتية) phénoménologie : دراسة وصفية لمجموعة الظواهر كما تتجلّى في الزمان و المكان ، بالتعارض إما مع القوانين المجرّدة و الثابتة لهذه الظواهر و إمّا مع الحقائق المتعالية التي يمكنها أن تكون من تجلّياتها ، و إما مع النّقد المعياري لمشروعيتها ، عن أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، مج 2 ، تعريب خليل أحمد خليل ، إشراف أحمد عويدات ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2001 ، ص973 .

قاعدة أساسية هي الذهاب إلى الأشياء ذاتها ، فهو منهج قائم على علاقة الذات بالموضوع المبنية على فكرة قصدية الوعي[1] و التي تقوم على الابتعاد عن الذاتية بفهم حقيقة النص كما هو ، عن طريق التمعّن الدقيق و التأمّل العميق و الوصف المفصّل له.

أمّا هيدغر عمل على ربط التأويلية بالفينومينولوجيا بطريقة مغايرة لما تصوّره أستاذه هوسرل ، فبينما كان هوسرل يقارب هذا العالم بغرض كشف عمل الوعي ، فقد رأى فيه هيدغر الوسط الحيوي للوجود الانساني التاريخي في العالم [2]. و يظهر طرح هيدغر للتأويلية في كتابه "الوجود و الزمان" الذي أعلن فيه أنّ الفهم ليس عملية عقلية بل عملية وجودية ، و بهذا أعاد صياغة الفهم في سياق جديد تماما ، كما تجاوز مفهوم دلتاي للتأويلية الذي تصوّرها على أنّها الشكل التاريخي للفهم كمقابل للشكل العلمي ، واعتبر هيدغر أنّ كلّ فهم هو شيء متأصّل في الطبيعة التاريخية للفهم الوجودي ، و بهذا مهّد الطريق لتلميذه هانز جورج غادامير Hans Georg Gadamer[3] و تأويليته الفلسفية[4] .

حيث أخذ غادامير بتعريف هيدغر الأصلي الشامل للفهم و تعمّقه إلى مداه ، فأبرز الجانب الأنطولوجي[5] واللّغوي للفهم .، ولم تكن غاية التأويلية عند غادامير تقديم قواعد للفهم الصّائب موضوعيا ، بل تصوّر الفهم نفسه بطريقة شاملة محيطة قدر المستطاع ، وبالتّالي لم يشغله الفهم الأكثر صوابا و تقديم معايير للتأويل الصحيح ، بل الفهم الأكثر

---

[1])ينظر ، عارف بن حديد ، التأويل عند هانز جورج غادامير ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، قسم الفلسفة كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة قسنطينة ،2008 -2009 ، ص23 .

[2]) ينظر ،عادل مصطفى ، فهم الفهم ، ص 213 .

[3]) هانز جورج غادامير: فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ في 11 فبراير 1900 ، اشتهر بعمله الشهير "الحقيقة و المنهج" سنة 1960 ، هذا المؤلّف عبارة عن ملخص لدروسه كان بمثابة خلاصة حقيقية للفلسفة و الذي يعبّر من فلسفته التأويلية و مجالها ، قدّم فيه حسب تعبيره الخطوط العريضة للهرمينوطيقا الفلسفية، توفي في هايدلبرغ في 13 مارس 2002 في سن 102 عاما .عن عارف بن حديد، التأويل عند هانز جورج غادامير،ص31-33.

[4]) ينظر ،عادل مصطفى ، فهم الفهم ، ص270 – 271 .

[5]) الأنطولوجيا: يطلق كانت لفظ أنطولوجيا على إمكان معرفة الأشياء معرفة قبلية ، و بهذا المعنى لاتعلمنا الأنطولوجيا عن الأشياء في ذاتها و إنّما عن الشروط القبلية التي بها يمكن معرفة الأشياء كما ترد في التجربة ، أي تعلمنا مبادئ إمكان التجربة .في الفلسفة المعاصرة موضوع الأنطولوجيا الأشياء بالذات ، أو بعبارة أخرى "علم الوجود من حيث هو موجود".عن مراد وهبة ، المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية) ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، 1998 م ، ص114 .

تعمّقا عنده هو الأكثر أصالة[1] ، فالتأويل عند غادامير يعتبر توجّها معرفيا يستخدم كبديل للمعرفة التصورية المكتسبة ضمن إطار المنهج ،لأنّ الحقيقة عنده يمكن أن يقدّمها لنا الفن و الأدب و المنهج هو قواعد و أدوات جاهزة تفرضها الذات على الموضوع و بالتّالي يكون التأويل تبعا لتلك القواعد،بدلا من أن تلتحم تلك الذات بموضوعها في خبرة حميمة، فالمنهج في نظره هو الذي ساهم في تقييد و تغريب الإنسان المعاصر، و هذا التوجّه اعتمده غادامير في كتابه "الحقيقة و المنهج" سنة 1960م [2] . ومنه يمكن القول أنّ غادامير فيلسوف التأويل في الفكر المعاصر .

انطلاقا من هذه النظرة التاريخية للتأويلية الغربية، يظهر لنا جليّا مسارها . حيث ارتبطت في بدايتها بأبعاد لاهوتية غيبية عند اليونان دون أن تكون خاضعة لقواعد و أسس تجعل منها منهجا للتفكير ، ثم ارتباطها بتفسير النصوص المقدّسة في العصر الوسيط و عصر النهضة مما جعلها ترتبط بالفيلولوجيا و بالنقد التاريخي ، ثم محاولة التأسيس للتأويل الموضوعي وفق معطيات المنهج التجريبي العلمي ، مما جعل التأويلية شاملة و عامة يمكن تطبيقها خارج النص الديني في العصر الحديث ، أمّا في العصر المعاصر ارتبطت التأويلية بالمنهج الفينومينولوجي بهدف فهم الوجود الإنساني خارج النظرة العلمية ، من حيث إنّها تعبير عن الخبرة الإنسانية القصدية و الهادفة ، وهذا ما تجسّد في التأويلية الفلسفية عند غادامير[3] ومَنْ بعده حيث امتدّت تطبيقاتها و شملت حقول معرفية إنسانية أخرى كالتاريخ و الأنتروبولوجيا و النقد الأدبي وغيرها.

---

[1]) ينظر ، عادل مصطفى ، فهم الفهم ، ص348 – 349 .

[2]) ينظر ، حسن بن أحمد بن عائشة ، مستويات تلقي النص الأدبي (رحلة السندباد البحري الأولى أنموذجا) ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص107 .

[3]) ينظر ، عارف بن حديد ، التأويل عند هانز جورج غادامير ،ص28 – 29 .

أمّا في الثقافة العربية الإسلامية ، عرف النشاط التأويلي ممارسة واسعة منذ القدم ، و بالتحديد منذ بداية الاختلاف في معاني الآيات القرآنية في عصر الصّحابة ، حيث كانوا يرجعون إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم ليفسّر لهم ما تدعو الحاجة إلى تفسيره ، لكن بعد وفاة الرسول تحرّج بعض الصّحابة و التّابعين من القول في القرآن بالرأي ، و البعض الآخر اجتهد برأيه بما نقله عن الرّسول من تأويلات كابن عبّاس الذي دعا له النّبي :"اللّهمّ فقهه في الدّين و علّمه التأويل" ، و هكذا جرى التأويل في بداية الأمر بطريقة الرواية و السّماع مستدلّين بالسنّة النبوية الشريفة [1].

لكن عند مواجهتهم للنصوص القرآنية المتعلّقة بالعقيدة و صفات الله عزّ و جل ، امتنعوا عن الخوض في تأويل تلك الآيات ، واكتفوا بحمل الآيات على ظاهرها ، و تفويض معانيها إلى الله تعالى ، كما ألغوا طرق التفكير العقلية ، لما رأوا من قصور العقل الذي بالرغم من أنّه قادر على أن يدرك بالبرهان على وجود الله وعلى النبوّة ، لكنّه عاجز على إدراك كنه الله و صفاته ، وهذا أدّى إلى فسح المجال للعامّة لفهم آيات القرآن بمعانيها الحرفية ، و بالتالي تحريف النص الديني ، و لأنّ الكثير من الآيات لا تفهم من ظاهرها ، فهي تحتاج إلى مؤوّل له علم و دراية[2] تؤهّله لتفسير و تأويل النصوص القرآنية .

فالحاجة إلى الفهم ، دفعت بعلماء المسلمين لدراسة القرآن و إعمال فكرهم فيه للوصول إلى الحقيقة ، فكان التأويل وسيلة فعّالة في أيديهم حاولوا الاستفادة منه ، وبعد ذلك خضعت عملية التأويل للمذاهب الفكرية الفلسفية ، فكلّ واحد أراد أن يوظّفها بما يتوافق مع تيّاره ، فأصبح التأويل بمثابة إشكالية ، ولم يكن النقّاد و البلاغيون بمعزل عن هذه الحركية فتناولوا التأويل بالبحث و الدراسة من خلال تخصّصاتهم[3] .

---

[1]) ينظر ، امباركة عليوات ، التأويل الاستعاري عند عبد القاهر الجرجاني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، فرع الأدب العربي ، تخصص البلاغة و الأسلوبية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ص21 .

[2]) ينظر ، المرجع نفسه ، ص22 .

[3]) ينظر ، لويزة شقرون ، قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص بلاغة وخطاب ، قسم اللغة العربية ، جامعة تيزي وزو ، الجزائر ، ص4 .

ومنه يمكن القول إنّ التأويل في الفكر العربي الإسلامي سار في ثلاثة اتجاهات ؛ تيار حرفي يقف عند محدودية اللّفظ و الحرف ، حارب أصحابه كلّ ميل إلى استعمال الجانب التأويلي ، و تيار تأويلي اشتغلت عليه شعب كثيرة في الثقافة العربية الإسلامية ،حيث جعل بعضهم كتاب الله مجالا للتأويل بأكمله باختلاف مستوياته من أحكام وقصص و تمثيل ، أمّا التيّار الوسطي جاء ليعادل بين الأخذ باللّفظ و حروفه و بين المعنى بإعمال الجانب العقلي و توظيفه توظيفا يتماشى و أحوال المقامات[1] .

وكما ذكرنا سالفا ، قد اعتمد علماء العربية التأويل في دراسة النصوص كلّ حسب تخصّصه. فالمفسرون جمعوا بين التفسير و التأويل في دراستهم للنص القرآني ، لكن ممارستهم التأويلية لم تتجاوز في الغالب الأعم سطح النصوص القرآنية بالجانب الشرحي و البياني ، إلاّ قلّة قليلة الذين استخدموا في تفسيرهم شيئا من العقل أو الرأي أو التدبر أمثال الزمخشري[2] في كشّافه[3].

أمّا علماء أصول الفقه ، اعتمدوا الاستنباط في تأويلاتهم للنص القرآني و الحديث النبوي ، عن طريق وضع مجموعة من القواعد لا تخرج عنها عملية الاستنباط تلك ، و زيادة في الحيطة و الحذر ربطوا التأويل بما يتّفق و مقصد الشريعة حتى يمكن الوصول إلى الحكم الصّائب ، كما قاموا بتحديد مسالكه و مجاله، فأفاضوا في أبحاث المحكم و المتشابه و الظاهر و الباطن [4]

---

[1]) ينظر ، عمر معراجي ، النص بين الدلالة و التداول ، دار القدس العربي ، وهران ، الجزائر ، 2011 ، ص118-120 .

[2]) محمد بن عمر أحمد الزمخشري ، كنيته أبو القاسم ، ولد بزمخشر ، من قرى خوارزم سنة 467 ه ، رحل إلى بخاري ثم العراق ثم الحجاز و غيرها من البلدان ، و عاد إلى موطنه حيث توفي عام 538 ه ، من شيوخه : أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني ، بن المظفر النيسابوري ، أبي منصور نصر الحارثي وغيرهم ، أمّا تلامذته : عامر بن الحسن السمسار ن أحمد بن محمود الشاشي ، ضياء الدين المكي ...، من مؤلّفاته : أساس البلاغة ، أطواق الذهب في المواعظ و الخطب ، أعجب العجب في شرح لامية العرب ، تفسير الكشاف...و غيرها . عن محمد بن عمر أحمد الزمخشري،أساس البلاغة،ص3-10.

[3]) ينظر ، مختار لزعر ، التأويلية من الرواية إلى الدراية، ص227 .

[4]) ينظر ، لويزة شقرون ، قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني ، ص25 .

و الحديث عن التأويل في علاقته بالإجراء الفلسفي ، إنّما حديث عن تلك العلاقة بين الجانب العقلي و حركية النص ، لاسيما النص القرآني المعروف بإطلاقه اللاّ محدود ، فالأسلاف كانوا على علم عميق بما يحويه الجانب العقلي من أسرار ، ممّا أهّلهم إلى اقتحام عالم النصوص مستنبطين منها الأحكام عن طريق إجراء فلسفي مبني على النظر و البرهان ، و ممّا أهّلهم أيضا على استخدام العقل في تأويلاتهم هو حثّ القرآن في كثير من السّياقات على استخدام العقل و النظر في العملية التأويلية قصد استنباط الأحكام [1].

أمّا تـأويلات النحاة كانت تعتمد الجانب المعياري المرتبط بمبدأ القاعدة، حيث عُني الـتأويل في البيئة النحوية بحمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة و قواعد النحو،في حين ارتبط الـتأويل البلاغي بمفاهيم بلاغية منها الحقيقة و المجاز ، فالتأويل يكشف عن الدلالة الثانية أو الدلالة المجازية، كما أنه يتعلّق بالأسلوب للوصول إلى قصد المؤلّف[2] .

فمن خلال هذه اللّمحة الموجزة عن الإجراء التأويلي العربي يمكن القول أنّ العرب استعملوا التأويل من وجهة نظر الدين و العقل ، كما عُني بالجوانب الروحية المتجلية في مظاهر الوجود المشار إليها في القرآن ، أمّا النظرة التأويلية الغربية تقوم على معطيات الواقع الحسّي ، ومن هنا تختلف المعرفة الإسلامية عن الغربية ،و انطلاقا من اختلاف النظامين المعرفيين اختلفت المفاهيم و التصوّرات ، وانطلق كلّ تأويل بحسب واقعه الثقافي[3] ، وبالرغم من وفود الكثير من النظريات الفلسفية و الفكرية و المنهجية الغربية فيما يخص التأويل ، وتبنّيها من قبل العرب و تطبيقها في تأويلاتهم ، لكن بحسب ما يتماشى مع ديننا و هويّتنا العربية و الإسلامية .

---

[1]) ينظر ، مختار لزعر ، التأويلية من الرواية إلى الدراية ، ص 261 .
[2])ينظر ، لويزة شقرون ، قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني، ص31 – 35 .
[3]) ينظر ، عبد القادر فيدوح ، مقال(نظرية التأويلفي الفكر العربي) ، الشبكة العنكبوتية : http://mohamedrabeea.com/books/book1_7330.pdf. 20/08/2015 00 :19

الفصل الأوّل:

التأويل بين البلاغة و التداولية

1- مفهوم التأويل

2- القراءة و تعدّد التأويلات

3- البعد التداولي في البلاغة العربية

1- مفهوم التأويل:

أ) مفهوم التأويل لغة:

وردت لفظة تأويل في المعاجم اللغوية العربية على أشكال متباينة ، منها ما ذهبت إلى اشتقاقات اللّفظ والأحرف في أصولها و أبنيتها ، ومنها ما ذهبت إلى مآخذ الشكل العام اللغوي الذي انبنت عليه شاكلة اللّفظ - تأويل - .ومن جملة تلك المعاجم :

ما ذهب إليه ابن فارس[1](ت 395 ه) في مقاييس اللغة حيث نظر إلى الهمزة و الواو و اللاّم على أنّها أصلان : ابتداء الأمر وانتهاؤه ؛ أمّا الأوّل فالأوّل ، وهو مبتدأ الشيء ، و المؤنثة الأولى ، مثل أفعل و فعلى ، و الأصل الثاني قال الخليل : الأيّل الذّكر من الوعول ، والجمع أيائل ، و إنّما سُمّي أيّلا لأنّه يؤول إلى الجبل يتحصّن . وقولهم آل اللّبن أي ختُر من هذا الباب ، وذلك لأنه لا يختر إلاّ آخر أمره ، و آل يؤول أي رجع ، قال يعقوب:"أوّل الحُكْمَ إلى أهله " أي أرجعه و ردّه إليهم[2].و تأويل الكلام ،هو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى :" هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ " [3] يقول ما يؤوّل إليه وقت بعثهم و نشورهم [4].

كما أورد الزمخشري(ت 538ه) في معجمه أساس البلاغة مفاهيم أخرى للفظة تأويل حين يقول: "و تقول : جملٌ أوّلٌ و ناقة أوّلة إذا تقدما الإبل . و يقال أوّل الحكم إلى أهله : ردّه إليهم ، وفي الدّعاء للمضل : أوّل الله عليك أي ردّ عليك ضالّتك ، وخرج في أوائل

---

[1]) أحمد بن زكريا بن فارس ،اختلفوا في موطنه ، فقيل كان من قزوين ، وقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المدعوة كرسف جياناباذ ، و قيل أيضا أنّ أصله من همذان واستقر المقام بها ، ولمّا اشتهر أمره و ذاع صوته ، استدعاه آل بويه بمدينة الري ، من شيوخه: والده الذي كان شافعيا فقيها لغويا ، أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب ، أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان...، أمّا تلامذته : بديع الزمان الهمداني ، علي بن القاسم المقري...، توفي في مدينة الري .عن أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة،من ص3 إلى ص9 .
ملاحظة: أوردنا المعاجم حسب ترتيب زمن وفيات الأعلام.

[2])أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، ج1 ،1972 ، ص158 – 159 .

[3])سورة الأعراف آية 53 .

[4])ينظر ، أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ص162 .

اللّيل و أولياته . لاتُعوّل على الحسب تعويلا ، فتقوى الله أحسن تأويلا ، أي عاقبة ، و تأملته فتأولت فيه الخير أي توسّمته و تحرّيته"[1].

في حين يذهب ابن منظور[2](ت 711ه) في لسان العرب إلى أنّ معنى كلمة تأويل: "الرجوع ، آل الشيء يؤول أولا و مآلا : رجع . و أوّل إليه الشيء : رجعه . و أوّل الكلام و تأوّله :دبّره و قدّره، وأوّله و تأوّله: فسّره ، وأمّا التأويل فهو تفعيل من أوّل يؤوّل تأويلا ، و ثلاثية آل يؤول أي رجع و عاد"[3] .

أمّا في معجم اللّغة العربية المعاصرة ، وردت كلمة تأويل بمعنى:"آل يؤول ...، فهو آيل ، و المفعول مئول إليه آل إليه الأمر ، رجع أو انتهى إليه"آلت إليه السّلطة/التركة" آيل إلى الزّوال: يوشك أن يزول.آل الشيء إلى كذا: صار وتحول "آل مصيره إلى السجن". أوّل يُئوّل تأويلا ، فهو مئوّلا ، والمفعول مئوّل.أوّل الكلام ، فسّره ووضّح ماهو غامض منه...، أوّل الموقف أو العمل: فسّره و ردّه إلى الغاية المرجوّة منه ، أوّل الرّؤيا: عبّرها، حاول أن يفسّرها "[4].

من خلال هذه التعاريف اللغوية المختلفة ، تبيّن لنا أنّ كلمة تأويل تأخذ معان متعدّدة ؛ وهي الابتداء، الانتهاء، الرجوع، العاقبة كما فصّل فيها ابن فارس ، أمّا في أساس البلاغة وردت بمعنى الردّ، الطلب، التحرّي، العاقبة، في حين جاءت في لسان العرب بمعنى الرجوع و العودة، التدبر، التقدير، التفسير. ولم تخرج المعاجم المعاصرة عن تلك المعاني المتقاربة التي تحيل في مجملها إلى المراحل الأساسية لعملية التأويل؛ أوّلها ابتداء المؤوّل

---

[1])أبو القاسم الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج1 ،ط1 ، 1998 ، ص39 .

[2])جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقبة بن منضور ، ولد في القاهرة سنة 630 ه ، كان محدّثا و فقيها ، ترك خمسمائة مجلّد ، عدا ما نسخه بخطّه ، تتلمذ على يد غبد الرحمن بن الطفيل و مرتضى بن حاتم ، يوسف المخيلي ، والعالم الصابوني ، توفّي في شعبان عام 711 ه ، من مؤلّفاته : لسان العرب ، مختار الأغاني ، مختصر الحيوان للجاحظ ، أخبار أبي النواس...،عن ابن منظور ، لسان العرب ، ص7 .

[3])ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي البكير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مج1 ، ص171 -172 .

[4])أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، مجلد1 ،ط1 ،مصر ،2008 ،ص139 .

بمحاولة إزالة الإبهام و الغموض عن طريق عمليات عقلية ذهنية بالطلب و التحرّي و التدبّر و التفسير و التقدير، ليصل إلى نهاية و عاقبة يرجع بها و يعود إلى المعنى الراد من الكلام.

ب) **مفهوم التأويل اصطلاحا:**

عُرِفَ التأويل كمصطلح و ظاهرة بين أعلام اللّغة العربية منذ بداية التأليف، و حضي باهتمام كبير من قبل العلماء على اختلاف توجّهاتهم، فأوردوا له تعريفات اصطلاحية نذكر منها ما ذهب إليه الغزالي[1] بأنّ التأويل"عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الضن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز"[2].

و نذكر أيضا تعريف ابن رشد[3] الذي يرى بأنّ التأويل"إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يُخلّ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عدّدت في تعريف أصناف الكلام المجازي"[4].

---

[1])أبو حامد محمد الغزالي، من طوس بلاد العجم ، تفقّه فيها، ثم تحوّل إلى نيسابور، ولازم الجويني، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، تأثّرت بجهوده حتى هذا العصر علوم الدين، الفلسفة، علم النفس، علم التربية و الأخلاق، إضافة إلى جهوده في الفقه و أصوله. كان مقلّدا في الفقه، فهو شافعي المذهب، من مؤلّفاته: المنقذ من الضلال، تهافت الفلاسفة، قانون التأويل...توفي سنة505ه.عن أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص7 -12 .

[2])أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق و تعليق:محمد سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت، ج2، ط1 ، 1997 ،ص49 .

[3])أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ، ولد سنة 520 ه في قرطبة ، درس علوم الفقه و الأصول و اللغة و الكلام و الأدب و أيضا علوم الطب ، ألّف حوالي 62 كتابا في الفلسفة و الالهيات ، المنطق، الفلك، الطبيعيات، النفس ، الأخلاق، السياسة، أصول الكلام ، من مؤلفاته: المقدمات ، شرح كتاب أرسطو ، البيان و التحصيل لما في المستخرجة من التوجيه و التعليل ، توفي عام 595 ه بمراكش ، ثم نقل رفاته إلى قرطبة.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة

31: 11 07/04/2016 ابن رشد https://ar.wikipedia.org/wiki/

[4])ا بن رشد ، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال ، إشراف محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،لبنان ط1 ،1997 ، ص97 .

في حين أورد الشريف الجرجاني[1] تعريف مصطلح التأويل في معجمه التعريفات ، في حدود الاستعمال الشرعي أو التفسيري للنص القرآني . إذ يقول:"و في الشّرع: صرف اللّفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب و السنّة مثل قوله تعالى:" يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ"[2] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا و إن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا"[3] .

و تجدر الإشارة إلى أنّ الغزالي و ابن رشد اتفقا في وضع الإجراء التأويلي في إطار الاستعمال المجازي،"فرحلة اللّفظة من موقعها العرفي الحقيقي إلى موقع آخر يمثل انزياحا في البناء و اتساعا في حركة المعنى"[4]، وهذا الانزياح و الاتساع هو مجال عمل التأويل، ولذلك ينبغي على من يتصدّى للتأويل المجازي أن يكون على معرفة واسعة بعادات العرب في الاستعمال اللغوي مثل تسميتهم للشيء بسبب الشيء، و أي خطأ يؤدّي بالضرورة إلى خطأ في التأويل[5].وبالتالي التأويل عملية إجرائية لها ضوابط و أسس تنبّه إليها البلاغيون العرب منذ البداية أمثال عبد القاهر الجرجاني[6] في نظرية النظم*.

---

[1])علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني الحنفي، ولد بجرجان سنة 740 ه، رحل إلى مصر و الشام و بلاد الروم، درس على يد العلامة محمد بن محمود البابرتي الحنفي، و جمال الدين محمد الأقسرائي، والنور الطاووسي ، و العلامة مخلص الدين و أخذ التصوّف عن العلامة علاء الدين العطار النقشبندي و غيرهم. قصده الطلاّب وأخذ عنه الأكابر، من مؤلفاته: تفسير الزهراوين ، حاشية على الكشاف ، شرح على الكافية في النحو، فن أصول مصطلح الحديث و غيرها، توفي سنة 816 ه.عن الشريف الجرجاني، معجم التعريفات،ص5.

[2])سورة يونس، آية 31 .

[3])الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير ، مصر ، 2004 ، ص46 .

[4])عاطف أحمد الدرابسة، قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل ،عالم الكتب الحديث، الأردن ،ط1 ،2006 ،ص46 .

[5])ينظر، أحمد عبد المهيمن، إشكالية التأويل بين كل من الغزالي و ابن رشد، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، مصر،ط1 ،2001 ،ص31.

[6])أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ولد في جرجان حوالي سنة 400 ه،وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتّى توفي سنة 471 ه/شباط1078 م، تعلّم من عالمين كبيرين كانا يعيشان في جرجان هما: أبو الحسين بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي،و القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، من تلامذته علي بن زيد الفصيحي، أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري،أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير، ترك مؤلّفات عدّة في الشعر و الأدب و النحو و علوم القرآن منها: الإيضاح في النحو، الجمل، إعجاز القرآن، الرسالة الشافعية في الإعجاز،أسرار البلاغة،

ولا يزال الاهتمام بمصطلح التأويل قائما إلى يومنا هذا من قبل علمائنا العرب المعاصرين ، لكن لم يعد محصورا في المجال المجازي للنص القرآني بل اتّسعت إجراءاته إلى أبعد من ذلك ، حيث يقول نصر حامد أبو زيد[1]:"لكن مفهوم المصطلح قد اتّسع في تطبيقاته في الفكر الحديث، فصار يتناول إلى جانب تأويل النصوص الدينية عمليات التأويل المعرفية في العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلمي الاجتماع و الأنتروبولوجيا ، وعلم الجمال و النقد الأدبي و الفلكلور"[2].

كما يعرّفه علي حرب[3] فيقول أنّ:"التأويل هو فن الفهم بل فهم الفهم كما يذهب إلى ذلك أرباب التأويل من المعاصرين و بالأخص غادامير، وفي ذلك ما يدعم وجهة نظرنا، من حيث أننا ذهبنا غالبا إلى القول بأنّ التأويل إنّما هو إعادة تعريف الأشياء، ومن ضمنها إعادة تعريف الفكر و العقل و الحقيقة و المنهج المؤدّي إليها"[4]،فهو يرى أنّ التأويل منهج العقل في طلب الحقيقة، بل طريق كل عقل في تعامله مع النص، بسبر المجهول و كشف

دلائل الإعجاز،يعتبر مؤسس علم البلاغة. عن أحمد مطلوب،عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1972م،ص11 -24 .

*) النظم هو توخّي معاني النحو و أحكامه و فروقه و وجوهه و العمل بقوانينه و أصوله . إنّه عبارة عن ترتيب الكلمات بوصفها علامات على معان . و هذا الترتيب يقوم على مراعاة المقولات التركيبية . من قبيل الفاعلية و المفعولية و الابتداء و الخبر و النعتية و الحالية و الصلة و الإضافة و التمييز و العطف إلخ .فالأمر يدور هنا على ترتيب للكلمات ، أي المعاني ،ترتيبا منطقيا ،ولا تراعى في هذا الترتيب الملامح اللفظية أو اللغوية ، من قبيل الرفع و النصب و الجر و الإعراب و البناء ، ترتيب المعاني يقوم على أساس غير الأساس اللّفظي ، إذ إن اللفظ المقصود به هنا المجازي يستعمل بمعنى قابل للتأويل، وهذا يعني قابلية التفسير حسب مصطلح الجرجاني . عن محمد الولي ، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ،ص275.

[1])نصر حامد أبو زيد، ولد في طنطا في 10 يوليو1943 ، حصل على الليسانس من قسم اللغة العربية جامعة القرى في 1972،ثم ماجستير عام 1976، ثم دكتوراه عام 1979، من مؤلّفاته: فلسفة التأويل، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، إشكالية القراءة و آليات التأويل، نقد الخطاب الديني، المرأة في خطاب الأزمة، التفكير في زمن التكفير...، توفي في 5 يوليو 2010 .عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/ نصر حامد أبو زيد 06/04/2016 18 :33

[2])نصر حامد أبو زيد، الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط3، 2008 ، ص176 .

[3])علي حرب،كاتب و مفكر و فيلسوف لبناني له العديد من المؤلفات منها كتاب نقد النص، وهكذا نقرأ:مابعد التفكيك، ويعرف عنه أسلوبه الكتابي الرشيق و حلاوة العبارة، كما أنه شديد التأثر بجاك دريدا و خاصة بمذهبه التفكيكي،إضافة إلى أنه يتبع منهج كانط في نقد العقل وآلياته وبنيته الفكرية.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/ علي حرب ،19: 16- 06/04/2016

[4])علي حرب، التأويل و الحقيقة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،لبنان،2007،ص27.

دلالات النص، فهو استنباط المجهول من المعلوم، والعلم بالمعلوم ليس علما بل تعليم، ومنه التأويل هو العلم بما لم يعلمه الإنسان، إنّه استنباط من المعلوم[1].

ولا يختلف مفهوم التأويل عند الغرب عمّا شاهدناه في الثقافة العربية، حيث يتأرجح مفهوم التأويل عند الغرب بين المدرستين الأوربية و الأمريكية؛ فمن أعلام المدرسة الأوربية هيدغر الذي عمل على ربط التأويل بالفينومينولوجيا "من خلال أنّ كليهما منهج، يرمي أحدهما إلى فهم النص، و الآخر لفهم العالم، و إذا كان العالم لا يظهر إلى الوجود إلاّ من خلال اللغة، فتأويل النص و فهمه هو تأويل و فهم للوجود"[2]،ويعرّفه غادامير بأنّه"ممارسة فكرية دليلها الآلية أوالفهم، وهو ما يستحضره تشكيل اللّفظ الذي يدل على التقنية Tkhne ، يتخذ الفن هنا دلالة الإعلان و التراث و التفسير و التأويل و يشتمل طبعا على فن الفهم كأساس و دعامة له"[3]. ومنه إتّفق غادامير مع أستاذه هيدغر بربط مفهوم التأويل بمسألة الفهم على أنّه أسلوب في الوجود في العالم.

ومن أعلام المدرسة الأوربية المعاصرين الذين اهتموا بالتأويل بول ريكور Paul Ricoeur[4] الذي يعرّفه بقوله:"فنحن نقول إنّ التأويل هو عمل الفكر الذي يتكوّن من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي"[5]، فالتأويل يكون على مستوى المعاني الخفية غير المباشرة أو المجازية التي لا يمكن فهمها من خلال المعنى الحرفي أو المباشر.

---

[1])ينظر، المرجع السابق، ص14 .

[2]) عارف بن حديد، التأويل عند هانز جورج غادامير، ص26 .

[3])هانز غيورغ غادامير، فلسفة التأويل(الأصول، المبادئ، الأهداف)، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط2 ،2006،ص61.

[4])جان بول غوستاف ريكور من مواليد 1913 في فالنس فرنسا، أسر في الحرب العالمية الثانية سنة 1940، وبقي سنوات في السجن، حصل على الدكتوراه سنة 1950 عن فلسفة الإدارة و ترجمة كتاب الأفكار لهوسرل، درّس في عدّة جامعات فرنسية، أيضا في جامعات أمريكية عديدة إلى سنة 1992، ترجمت أعماله إلى أغلب اللغات، صدرت له عشرات الكتب منها:التناهي و العقاب ،صرا ع التأويلات، الزمان و السرد ، الذات عينها كآخر،الذاكرة و التاريخ و النسيان،مسار التعرف...وغيرها .عن بول ريكور،صراع التأويلات.

[5])بول ريكور،صراع التأويلات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ترجمة منذر عياشي ،بيروت، لبنان،ط1،2005،ص44.

كما تحدّث أمبرتوإيكو Unberto Eco [1] عن التأويل حيث يقول:"لقد خلّف لنا التاريخ تصورين مختلفين للتأويل، فتأويل نص ما، حسب التصوّر الأول،يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلّف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي،وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل، أمّا التصوّر الثاني فيرى، على العكس من ذلك، أنّ النصوص تحتمل كل تأويل"[2]، بمعنى أنّ للتأويل مفهومين عند إيكو؛ المفهوم الأول هو البحث عن قصدية المؤلف،أمّا الثاني هو التفاعل مع عالم النص.

ومن أعلام المدرسة الأمريكية الذين بحثوا في التأويل شارل سندرس بيرس Charles Sanders Peirce[3] الذي درس التأويل ضمن ما يسمّى بالسيرورة التأويلية[4] للعلامة في حقل السيميائيات"فداخل سيرورة تأويلية معيّنة يجنح الفعل التأويلي إلى تثبيت مسار تأويلي داخل نقطة معينة تعدّ أفقا نهائيا داخل مسار تأويلي يقود من تحديد معطيات

---

[1])أمبرتو إكو: فيلسوف إيطالي و روائي وباحث في فلسفة القرون الوسطى و الأدب، ولد في 5 يناير 1932، يعرف بروايته الشهيرة اسم الوردة، و مقالاته العديدة، كتب أطروحته حول توما الإكويني ،و حصل على الدكتوراه في الفلسفة في 1954،عمل محررا ثقافيا للتلفزيون و الإذاعة الفرنسيةن وحاضر في جامعة تورينو،نشر كتابه الأول مشكلة الجمال عند توما الإكويني ،هو كتاب توسعة لأطرحته في الدكتوراه.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرّة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/أمبرتوإكو06/04/2016 22 :23

[2])أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، ترجمة و تقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان،ط2، 2004، ص117.

[3])شارل سندرس بيرس:ولد في العاشر من سبتمبر1839،في كامبرج في أمريكا، كان أستاذا كبيرا للرياضيات، كان أبوه أول أساتذته،حصل على شهادة عليا سنة1860،و على الميتريز سنة1862، وعلى الإجازة في الكيمياء سنة1863، توزّعت أعماله بين الفلسفة و المنطق و الرياضيات و الميتافيزيقا و الدين و الكيمياء و الفيزياء و علم البصريات و التاريخ القديم ، وفي المرحلة الممتدة بين 1903-1911 أوضح بيرس الكثير من القضايا الخاصة بتصوره للفعل السيميائي ،توفي سنة 1914 م.عن سعيد بن كراد، السيميائيات و التأويل،مدخل لسيميائيات ش،س،بورس.

[4])السيرورة التأويلية للعلامة: يطلق عليها بيرس السيميوز sémiose، وهي المراحل الثلاث لاشتغال العلامة ؛ أوّلانية كنوعيات و أحاسيس،ثانيانية كوقائع و موضوعات، وثالثانية كقوانين وعادات، أو هي السيرورة التي تقود إلى إنتاج دلالة ما، أي إلى تأسيس العلامة السيميائية ماثول-موضوع عبر عنصر التوسط الإلزامي: المؤول. وهي عناصر تشتغل ضمن حلقة يحيل كل عنصر داخلها على عنصر آخر، و العلامة لا يمكن أن تكون علامة إلاّ إذا كانت جمعا و ربطا بين هذه العناصر الثلاثة.عن سعيد بن كراد، السيميائيات و التأويل.

دلالية أولية(مؤول مباشر)[1] إلى إثارة سلسلة من الدلالات (مؤول ديناميكي)[2] إلى تحديد نقطة إرسال دلالية(مؤول نهائي) [3] "[4]، إذن يدرج الفعل التأويلي عند بيرس ضمن مراحل البحث عن الدلالة للعلامة السيميائية.

ومنه انتهى العلماء باختلاف منطلقاتهم الفلسفية و الفكرية و العقائدية و الدينية إلى أنّ التأويل عمليات عقلية استدلالية يلجأ إليها الإنسان لفهم المعاني و الدلالات الخفية للنصوص باختلاف أنواعها، كما تجاوز البحث عن دلالة إلى العلامات غير اللغوية عند علماء السيمياء.

---

[1])مؤول مباشر: هو القراءة الأولية في معطيات الموضوع المباشر، ويتم الكشف عنه من خلال إدراك العلامة نفسها.

[2])مؤول ديناميكي: القراءة في السياق الذي يوجد خارج العلامة، أي مجمل المضامين الثقافية التي تشير إليها العلامة.

[3])مؤول نهائي : الوقع الذي تولده العلامة في الذهن بعد تطور كاف للفكر .عن سعيد بنكراد، السيميائيات و التأويل، ص147-152.

[4])سعيد بن كراد، السيميائيات و التأويل،مدخل لسيميائيات ش .س. بورس ،المركز الثقافي العربي، المغرب،ط 1، 2005 ، ص101.

القراءة و تعدّد التأويلات: 2-

مرّت نظريات التأويل بمحطّات متعدّدة في تعاملها مع النص الأدبي، بدءا بالاهتمام بالمؤلّف و الظروف المحيطة به الاجتماعية منها و النفسية وحتّى التّاريخية ، ثم انتقلت إلى "عناية فائقة بالنص بصفته بنية مغلقة ، و أهملت صاحب النص بل دعت إلى إلغائه"[1] ، حتّى وصلت إلى ما هي عليه نظرية همّها الأكبر المتلقّي باعتباره العنصر الفعّال في عملية التأويل عن طريق فعل القراءة.

و فعل القراءة قديم العهد بدأ في أوّل الأمر "من خلال الأوامر الإلهية الموجهة إلى الأنبياء و الرسل ، ليصبح مع تطوّر الإنسان فعلا حتميا في التّعامل مع الأشياء ، و لفهم العالم ، وما يحيط بهذا الإنسان من قضايا و أسرار ، فالقراءة وسيلة للفهم ، و الفهم يقتضي تدبرا و تأمّلا و تأويلا ، حين تتعقّد المفاهيم و تتشابه الصور و المواقف"[2] ثم صارت القراءة تنافس أحداثا كونية عدّة في الوجود ، منها مفهوم الحقيقة الذي ماانفك الفلاسفة و علماء المنطق و العلوم التجريبية يسعون إلى تحقيقه، فصار في منظور القراءة منحطاً ذلك أن القراءة أضحت تنافسه في كلّ أحداث الواقع و الكون.

لكن يختلف كلّ إنسان عن غيره في عملية القراءة و الفهم باختلاف طباعهم و عاداتهم و مرجعياتهم ، وهذا ما يبرّر تعدّدية الخطاب الإلهي التي تجعل منه خطابا مفتوحا لآفاق التأويل و الفهم ، فثنائية الظاهر و الباطن في الخطاب الإلهي لا تسعى إلى الإخفاء كما يفهمها البعض ، و إنّما هي ثنائية التعددية في البشر و التي تسمح لكل البشر بأن يكونوا

---

[1])بوجمعة بو بعيو ،آليات التأويل و تعددية القراءة مقاربة نظرية نقدية ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2009 ، ص75.

[2])المرجع نفسه ص83.

مخاطبين بالخطاب الإلهي فتعدّدت مستوياته مراعاة لاختلاف مستويات النّاس في الفهم ، ممّا يؤدّي إلى تعدّدية التأويلات ، لكن ألّا تتعارض التعدّدية مع مفهوم الإجماع.[1]

فالحاجة إلى فهم القرآن الكريم، دفعت بعلماء العربية منذ البداية إلى الاستعانة بالتأويل، "وبالفعل مذ نظر العقل العربي في خطاب الوحي ...وقع على تناقض ، وواجه إشكال مفاده أنّ القرآن ينطوي على وجوه كثيرة و أنّ لغته تختلف عن لغة العقل البرهاني ، و أنّ طبيعة الدلّيل المستخدم فيه مغايرة لتلك التي يطلبها البرهان ، فلغة القرآن يدخلها الاشتراك و المجاز والاستعارة ، إنّها لغة تتّسع...لا ينضبط فيها المعنى ولا تنحصر الدلالة".[2]

ومنه لغة المجاز مجال عمل التأويل ، لأنّه مادام يجوز استخدام اللّفظة لغير ما وضعت له ، فلا بدّ للتأويل أن يستعيد الدلالة الأولى لتلك اللّفظة ، فينتقل بنا من معنى إلى آخر ، و كلّما كان الكلام أفصح و أغرب و أحسن نظما كان أشدّ احتمالا لفنون التأويل ، لكن هذه اللغة المجازية لا ينضبط فيها المعنى ولا تنحصر الدلالة ، و بالتالي تأويل النص سيكون تغليب دلالة على أخرى و تفضيل بين معنى و آخر ، ممّا يؤدّي إلى التعدّد و الاختلاف ، و هذا يعني أنّه ليس ثمة تأويل نهائي فبالضرورة ليس ثمة قراءة أحادية للنصوص ، فالنص فالآية تحتمل تأويلين ، [4].من ذلك قوله تعالى :"ولا تقتلوا أنفسكم"[3]هو حقل لإنتاج المعاني. الأوّل هو القتل الحقيقي الذي هو معروف ، و الآخر هو القتل المجازي ، وهو الإنكباب على المعاصي فإنّ الإنسان إذا انكبّ على المعاصي قتل نفسه في الآخرة.[5]

ولا تخلو النصوص البشرية من ظاهرة الغموض و خاصّة الأدبية منها ،"فالنص الأدبي يتّسع للعديد من التفسيرات التي تتنوّع بتنوّع اتجاهات النقّاد و مذاهبهم ، هذه الاتجاهات ليست في حقيقتها سوى صياغة لموقف النّاقد الاجتماعي و الفكري من

---

[1]) ينظر ، نصر حامد أبو زيد ، الخطاب و التأويل ، ص 61.
[2]) علي حرب ، التأويل و الحقيقة ، ص 35.
[3]) ينظر ، المرجع نفسه، ص 35.
[4]) سورة النساء 29.
[5]) ينظر ، ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 66.

، و الدّليل على ذلك ما نجده من مؤلّفات كثيرة عربية و غربية قديمة و حديثة في [1]واقعه" مجال النقد ، اهتمت بالقراءة و التأويل ، تختلف باختلاف الغايات و الدّوافع و تتباين بتباين النّظريات المعتمدة في تحليل النصوص ، والتي تدور في مجملها حول محاولة لفهم العلاقة الثلاثية بين (المؤلف/ النص/ المتلقّي).

ثلاثية تحوم حولها أسئلة كانت ولا تزال همّ الكثير من النقّاد ، أمثال نصر حامد أبو زيد الذي يطرح في كتابه "إشكالية القراءة و آليات التأويل" العديد من الأسئلة، نذكر منها: ماهي العلاقة بين المؤلّف و النص؟ و هل يعدّ النص الأدبي مساويا حقيقيا لقصد المؤلّف؟ و إذا كان كذلك فهل بإمكان النّاقد النّفاذ إلى عالم المؤلّف من خلال تحليل نص هذا المبدع؟ و بالتالي يفهم النص كما يفهمه مبدعه أو كما يريد أن يفهم؟ ثم يضيف فيقول بأنّ الأمر يزداد تعقيدا إذا اختلف زمن النص عن زمن النّاقد أو المتلقّي [2]، فهي أسئلة تتطلب البحث الجاد و العمل الدءوب غير المنقطع للوصول إلى أعلى درجات الفهم و التأويل للنص ، لكن هل كلّ النصوص الأدبية تستوجب تأويلا؟.

ما يمكن قوله في هذا الصدد أنّ "التأويل حاجة لا تتطلبها النصوص كلّها ، إنّما يستدعى للخطاب الذي حقّق قدرا معقولا من العمق و الذي يعاند المتلقّين أحيانا ،و يحتاج منهم أن يبحثوا عن دلالات و مقاصد و توجيهات لا تحظر أوّل وهلة في أذهانهم[3]." فهذا النّوع من النصوص يعدّ نسيجا تتداخل فيه المرجعيات باختلاف أنواعها ، فهي متاهة تدرج التأويل ضمن مسيرات دلالية متعدّدة ، فكل كلمة أو عبارة لها معنى يحيل إلى معنى آخر ، و كلّما اقتربنا من هذا المعنى نجد أنفسنا نحتاج إلى معنى آخر ، فالتأويل من هذا المنطلق غير محدود ولا يمكن حصره في دلالة واحدة ، و كلّ محاولة للوصول إلى دلالة نهائية

---

[1])نصر حامد أبو زيد ، إشكالية القراءة و آليات التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط 7 ، 2005 ، ص16 .

[2]) ينظر ، المرجع السابق ،ص 17.

[3]) سامح الرواشدة ، إشكالية التلقي و التأويل ، منشورات أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، ط1 ، 2001 ،ص13.

.ولعلّ السّبب في اللاّمحدودية التأويل [1]يقودنا هذا إلى الانحدار إلى متاهات لا حصر لها يرجع إلى فكرة تعدّد القراءات.

فالاتجاه الذي تبنّى فكرة تعدّد القراءات ، يؤكّد على أنّ القرّاء يختلفون باعتبارهم أشخاصا مسلحين بأدوات مختلفة بحسب مكتسباتهم القبلية ، ولم تعد نظرة النقد منحصرة في البحث عن مقصدية واحدة وهي قصد المؤلّف ، بل تجاوزت ذلك و أصبحت مقترنة بالمتلقّي فأعطت له الحق في إنتاجية النص من خلال قراءة عميقة يطبّق فيها كلّ متلقّ .ممّا يؤدّي [2]أدواته الشخصية و مهاراته التي تختلف عن أدوات ومهارات متلقّين آخرين بالضرورة إلى الوصول إلى فهم و تأويل مختلف و بالتّالي إلى إنتاج نص على نحو مختلف أيضا.

فهذه النظرة تجعل القارئ "شريكا مشروعا في تشكيل المعنى و كأنّ النص لم يكتب إلاّ لأجله ، و يعني ذلك أنّ المعنى الذي سيق في النص في حاجة إلى من يكمّله ، وهو القارئ . فبهذا تحوّل المتلقّي من [3]، فالعلاقة هنا هي علاقة شراكة بين مؤلّف النص و قارئه " مجرد مستقبل سلبي للأدب إلى متلقّ إيجابي يتفاعل مع النص الأدبي بل و أكثر من ذلك حين منح حقّ إنتاجية جديدة للنصوص.

ومن روّاد هذه النظرة أمبرتو إيكو الذي"عمل جاهدا على منح دور فاعل للقارئ ، ، بمعنى أنّ للقارئ حق استعمال مهاراته و أدواته [4]ولكنه ليس على حساب وحدة النص" في تحليل النص الذي يقرأه ليصل في النهاية إلى تأويلات و إن تعددت لا تخرج عن قصدية النص و مؤلّفه."وهذا يعني أنّ القارئ يسترشد بالعلامات النصية نفسها للوصول إلى المعنى المتواري ، و أنّه لا يستخدم إلاّ ملكة الاستدلال ، لأنّه ليس من حقّه أن يولّد . ومنه تأرجح مشروع إيكو التأويلي بين "تأكيده على [5]معاني غير مقصودة في الأصل"

---

[1]) ينظر ، أمبرتو إكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ص12.
[2]) ينظر سامح الرواشدة ، إشكالية التلقي و التأويل ، ص17-19.
[3]) بوجمعة بوبعيو ، آليات التأويل و تعددية القراءة ، ص118.
[4]) المرجع نفسه، ص77.
[5]) حميد لحمداني ، القراءة و توليد الدلالة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ،2003 ، ص67.

انفتاح العمل الأدبي ولا نهائية إمكاناته التأويلية من جهة ، و حرصه من الجهة الأخرى ، والتي تميّز [1]على وضع جملة من المعايير و القواعد و الحدود التي تحكم عملية التأويل" بين التأويلات الصحيحة و التأويلات الخاطئة.

و تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أعمال الناقدين هانز روبرت ياوس[2] Hans Robert Jauss و فولفغانغ آيزر Wolfgang Iser[3] اللّذين أسّسا معا لنظرية التلقّي التي اهتمّت بدور القارئ بالرغم من اختلاف منهج كلّ واحد عن الآخر، ففي الوقت الذي اعتمد فيه ياوس على هرمينوطيقا غادامير ، كانت فينومينولوجيا إنجاردن المؤثّر الأكبر في آيزر[4].

بحيث تبنّى آيزر "المقولة الظاهراتية التي ترى أنّ من أهم النقاط في قراءة كلّ عمل أدبي التفاعل بين بنيته و متلقيه لأن مثل هذه القراءة تجعل العمل الأدبي يتحرك على قطبين : أحدهما القطب الفنّي و الآخر القطب الجمالي ، القطب الفني هو نص المؤلف و القطب الجمالي هو عملية الإدراك التي يقوم بها القارئ"[5] ،وهذا التفاعل بين المتلقي و النص يفترض قارئ ضمني[6] يتجسّد في شبكة بنى النص و الذي يقوم بمحفّزات يستجيب[1] لها

---

[1]) عبد الكريم شرفي ، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2007 ،ص56.

[2]) هانز روبرت ياوس:ناقد و مؤرّخ الأدب الألماني ، ولد عام 1926م و توفي عام 1977، من أبرز أعلام مدرسة كونستانس طوّر مع آيزر في سنوات الستّينات و السبعينات "نظرية التلقّي"،أستاذه هانز جورج غادامبر..عن شبكة الانترنيت: 45: 13, 07/04/16 : http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat

[3])فولفغانغ آيزر: ولد سنة 1926 بألمانيا ، درس اللغة الانجليزية و الفلسفة و اللغة الألمانية ، مؤسّس لجنة وحدة البحث المسماة "الشعرية و الهيرمينوطيقا" ، عضو بمجلس تأسيس جامعة "بيليفيلد " و رئيس اللجنة المخططة لجامعة كونستانس ، مؤلّفاته: القارئ الضمني ،فعل القراءة ، التوقع ، التخييلي و الخيال .عن فولفغانغ آيزر،فعل القراءة،ترجمة و تقديم، حميد لحميداني و الجلالي الكدية ،منشورات مكتبة المناهل فاس،1994،ص9.

[4]) ينظر ، روبرت هولب ، نظرية التلقي مقدمة نقدية ، ترجمة عز الدين إسماعيل ،المكتبة الأكاديمية ، ط1 ،2000 ،ص56.

[5]) عاطف أحمد الدرابسة ،قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل ، ص 73 .

[6]) القارئ الضمني : هو قارئ يخلقه النص وحده ، يحضر في النص دون تحديد مسبق لشخصيته أو لموقفه التاريخي ، وهو يجسّد كلّ الميول المسبقة اللاّزمة لأي عمل أدبي لكي يمارس تأثيره ، هذه الميول لم يفرضها واقع تجريبي خارجي ، بل يفرضها النص نفسه ، أي أنّ القارئ الضمني بوصفه مفهوما فإنّ له جذورا راسخة في بنية النص ، بمعنى أنّه القارئ الذي في النص ، و بالتّالي فإنّ مفهوم القارئ الضمني هو بنية نصيّة تتوقع وجود متلقّ دون أن تحدده بالضرورة ، وهو الذي يبين الدور الذي يتخذه كل متلق مسبقا . عن عاطف أحمد درابسة.ص80 .

المتلقي الذي يقوم بفعل القراءة ، وهنا يكون الحديث بين تفاعل تجربتين متناقضتين للقارئ الفعلي و بنية النص ، مما يؤدي إلى نشوء مساحة من الفراغ داخل بنية النص ، فيدفع بالقارئ الفعلي باللّجوء إلى نشاط تأويلي يسعى من خلاله إلى ملئ تلك الفراغات ، وقد يضفي عليها شيئا من تجربته و شعوره[2] من خلال القراءات المتعدّدة .

فسيرورة القراءة عملية حركة و كشف يزدادان تعقيدا بمرور الوقت ، فالقارئ يقيّم خصائص العمل الأدبي من خلال فهم مسبق و قناعات و توقعات مبهمة ،بيد أنّ هذه التوقعات تتعدّل من خلال تواصل عملية القراءة ، فتبدأ الحلقة التأويلية بالدوران متحركة من الجزء إلى الكلّ و رجوعا إلى الجزء ، من أجل بناء معنى متماسك من النص ، و كلّما واصلنا القراءة فإنّنا نسقط افتراضات ، و ننقّح قناعات و نقيم إستنتاجات و توقّعات أكثر فأكثر تعقيدا ونحن نقرأ تقدّما و رجوعا في الوقت ذاته ، و نتنبأ و نتذكر ، وربما نذكر حقائق أخرى[3] توصلنا إلى تأويلات جديدة غير منتهية .

أمّا ياوس ينطلق في تأسيس نظريته في التلقي من سؤالين : أين يبدأ الطابع المستقل الفريد للتأويل الأدبي ؟ و كيف يمكنه أن يفي الطابع الجمالي حقه ؟ و للإجابة عن هذين التساؤلين شرع ياوس في تأسيس نظرية توضّح عملية الفهم ، فانتهى به الأمر إلى وضع إجراءات عملية التلقي و هي إجراء القراءة الجمالية و إجراء القراءة الاسترجاعية التفسيرية و إجراء القراءة التاريخية ، حيث كلّ إجراء ينطوي على أفق معيّن و كلّ أفق يسهم في تشكيل الأفق الآخر[4*].

---

[1]) يشير آيزر أنّ هذه العملية تصبح تبادلية أثناء فعل القراءة أي أنّ القارئ الضمني يثير القارئ الفعلي فيستجيب لعملية التفاعل غير أنّه لا يرتهن لمعطيات القارئ الضمني ، و إنّما يضفي على عملية القراءة من مخزون تجربته ، هذا المخزون يسميه آيزر الرصيد ، وهذا الرصيد ليس مقصورا على القارئ الفعلي وحده ، و إنّما القارئ الضمني له رصيده الذي يتشكل من مكونات تجربته ، على أنّ هذه المكونات لا تنبع من إطار مرجعي أو معرفي و إنّما يبرزها القارئ الضمني الذي يتخلق في النص.عن عاطف أحمد درابسة.ص81 .

[2]) ينظر ، عاطف أحمد الدرابسة ، قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل ص80-81.

[3]) ينظر ، تيري إيغلتون ، نظرية الأدب ، ترجمة ثائر ديب ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، 1995 ، ص136.

[*])القراءة الأولى تنظر إلى النص بكليته ، فتبرز آفاقا من التوقع نابعة من بنية النص ، هذه الآفاق تصبح أفقا للقراءة الثانية ،لأن التفسير الاسترجاعي للنص يستوجب توافر فهم جمالي مسبق و منه القراءة الثانية تكشف آفاق ذات أبعاد دلالية جديدة لم تكشفها القراءة الأولى ، و يتولّد من القراءتين السابقتين أفق جديد يتم بالقراءة التاريخية التي تفرض على القارئ إخضاع النص لشروط تكونه التاريخي موضوعيا و فنيا ، مما يؤدّي إلى آفاق جديدة من التوقع.عن عاطف أحمد الدرابسة .

[4]) ينظر عاطف أحمد الدرابسة ، قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل ، ص83.

ففعل القارئ عند ياوس يقوم على فكرة انصهار الآفاق في الإجراءات التفسيرية الثلاثة : الجمالي و الاسترجاعي و التاريخي ، وهي فكرة مستوحاة من تفكير غادامير الذي يرى أنّ المفسر لا يعيد إنتاج النص في حالته الأصلية ، و النص لا يمثل في كلّ الحالات قصد المؤلّف ، لأنه يقرأ بشكل مختلف و في ظروف متباينة ، كما لا يمكن عند غادامير تجاهل جانب التفسيرات التاريخية في عملية الفهم ، فالتجربة التفسيرية عملية حوارية بين أفق النص و أفق القارئ و انفتاحهما ، مما ينتج انصهار الآفاق الذي يولّد أفق غير محدود للمعنى [1]، و بالتّالي إلى آفاق متعددة من التأويلات.

خلاصة ما تقدّم ، يتّضح أنّ إجراء التأويل لا يتّصف بالاستقرار و الثبات ، و مردّ هذا إلى اختلاف القراءات باختلاف مستويات الفهم للنصوص ، لكن لا يعني هذا التصوّر الاعتقاد بلا محدودية التأويل ، فللتأويل ضوابط و قواعد حاول الكثير من العلماء العرب منهم و الغرب وضعها و تحديدها ، من أجل الحفاظ على الإطار العام للمعنى النصّي و عدم تجاوزه إلى دلالات تنتهي بنا إلى متاهات لا فائدة منها.

[1]) ينظر، المرجع نفسه، ص 86-87.

3- البعد التداولي في البلاغة العربية:

تلتقي التداوّلية في كثير من مباحثنا مع المفاهيم البلاغية القديمة ، و لعلّ كل مبحث جاءت به التداولية إلاّ و نجد له جذور مبثوثة في تراثنا البلاغي ، بحيث تشترك التداولية مع البلاغة في العديد من الاهتمامات و الإجراءات التطبيقية.

فالتداولية تعرّف بأنّها :"دراسة اللغة حال الاستعمال، أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها"[1] ، وتعرّف أيضا بأنّها :"لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"[2] لأنّها تراعي قصد المتكلم و نواياه ، وحال السامع و ظروفه ، و تهتم بشروط نجاح الرسالة و كل ما يحيط بعملية التخاطب بحثا عن المعنى، و ضمانا للتواصل[3].فكل هذه الاهتمامات بالعملية التواصلية بين المتكلّمين ، بحث فيها البلاغيون العرب القدماء أمثال العسكري[4] الذي يعرّف البلاغة بأنّها :"كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن"[5]، فمن هذا التعريف نستخلص أنّ البلاغة اهتمت بطرفي التواصل وهما المخاطب الذي يجب أن يتلفّظ بكلام بليغ يتميّز بصفات معيّنة تجعله يؤثّر في الطرف الثاني وهو المخاطب أو متلقي الرسالة .

أمّا القزويني[6] بحث في بلاغة الكلام حيث يقول فيها :"أمّا بلاغة الكلام فهي : مطابقته

---

[1]) خليفة بو جادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ،2009 ، ص151 .

[2]) جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية و آدابها ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1992 ، ص1.

[3]) ينظر ، باديس لهويمل ، مقال(التداولية و البلاغة العربية) مجلة الخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر ، ص158.

[4]) حسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ، أبو هلال الشاعر الناثر الأديب الفقيه ، تتلمذ على يد خاله أبي أحمد العسكري ، ينتمي إلى عسكر مُكرام من كور الأهواز ، أمّا مولده فلم تذكره المراجع ، مات في العاشر من شعبان سنة 395ه ، من مؤلّفاته : المحاسن في تفسير القرآن ، جمهرة الأمثال ، الفروق اللغوية ، شرح الحماسة ، لحن الخاصة ، الأوائل ، وغيرها من الكتب الكثيرة.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:

https://ar.wikipedia.org/wiki/أبو هلال العسكري,07/04/16, 14: 30

[5])أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة و الشعر ، مطبعة محمود بك ، ط1 ،1320 ه ، ص8.

[6]) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني ، ولد سنة 666 ه بالموصل ، و سكن الروم مع والده و أخيه و اشتغل و تفقّه حتّى ولّى قضاء ناحية الروم ، وله دون العشرين ،ثمّ قدم هو و أخوه أيام التتر من بلادهم إلى دمشق ، سمع من العز الفاروتي ، أخد من الإيكي و غيره ،أتقن

لمقتضى الحال مع فصاحته"[1] ، ومنه يمكن القول أنّ البلاغة "تقوم على مبدأ الاتصال فتبحث في كيفية استخدام اللّغة بطريقة سليمة ، تضمن وصول قصد المتكلّم و مراده إلى مخاطبه و التأثير فيه من خلال توظيف ما يناسب من أدوات اللّغة و تراكيبها ، ومراعاة حاله أثناء الكلام بما يضمن نجاعة الخطاب في النهاية"[2] ، و هذا الاهتمام البلاغي بلغة الكلام و بمطابقته للمقام يعدّ من صميم البحث التداولي لأنّ التداولية تعتمد أيضا على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي ، على أساس مراعاة الموقف الخطابي أو سياق المقام[3].

ولم يغفل علماء العربية منذ القدم عن وظيفة اللغة التواصلية أمثال ابن جنّي[4] الذي يعرّف اللّغة بقوله :"أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "[5]. وهذا التصور للغة على أنّها ذات وظيفة تواصلية ، دفع بالباحثين إلى محاولة وصف الترابط القائم بين بنية اللغة ووظيفتها ، فانصبت الدراسات على رصد العلاقة بين كل نمط من أنماط التراكيب و الغرض المتوخّى تحقيقه[6] ، ومنه انطلقت البلاغة من "مبدأ وظيفي تداولي يقوم على رصد خصائص تراكيب اللغة في علاقتها بمقامات إنجازها من جهة ، و

الأصول و العربية و المعاني و البيان ، من مصنّفاته : المشذر المرجاني من شعر الأرجاني ، الإيضاح على صاحب المفتاح في المعاني و البيان ، تلخيص المفتاح للسكاكي ، مات في منتصف جمادى الأولى سنة 738 ه .عن الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،ص8-9.

[1]) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني و البيان و البديع ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،2003 م، ص20 .

[2]) باديس لهويمل ، التداولية و البلاغة العربية ،ص 165.

[3])ينظر ، سليمان بن سمعون ، مقال(البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية و علم النص) ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، غرداية ، الجزائر ، ص 51 .

[4])عثمان بن جنّي ، من أصل رومي يوناني ، ولد في الموصل قبل 330 ه ، توفي سنة 402 ه ،وهو في سن السبعين ،نشأ في الموصل ، و تلقى مبادئ التعلم فيها ، أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش و أخذ عن أبي عليّ ، وقد أخذ عن كثير من رواة اللغة العربية ، منهم أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم ، و عن أبو عبد الله محمد بن العساف العقلي التميمي ، من كتبه : الخصائص ، التمام ،سر الصناعة ، تفسير تصريف المازني ، شرح المقصور و الممدود لابن السكيت ، تفسير ديوان المتنبي الكبير ، و غيرها.عن أبو الفتح عثمان بن جني،الخصائص،ص5.

[5]) أبو الفتح عثمان بن جنّي ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ج1 ،ص33.

[6]) ينظر أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2010 ، ص93.

أغراضها التواصلية التي وضعت لأجلها من جهة أخرى"[1] ، فالتوكيد مثلا يعدّ وظيفة تداولية يرمي به المتكلّم إلى تنبيه المخاطَب ، فهو وسيلة لتقوية الخبر و تقديمه على أساس

أنّه مقصود فعلا كقولنا : بنيت أنا هذه الدّار ، حضر الضيوف كلّهم [2] ،وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي يزخر بها الاستعمال اللغوي العربي فيما يخص الوظيفة التواصلية التو كيدية .

إذن يمكن تقسيم أهم قضايا البلاغة العربية التي تشترك في تناولها مع قضايا اللسانيات التداولية إلى ثلاثة عناصر هي : تداولية المتكلّم ، تداولية المخاطَب ، و تداولية الخطاب في ذاته[3] . ومن أهم الأبحاث التي ترتبط بالخطاب في ذاته نذكر منها نظرية أفعال الكلام ، و الاستلزام الحواري .

حيث يظهر جليّا أنّ ما قدّمه العرب في باب الخبر و الإنشاء لا يختلف عمّا تعرضه نظرية الأفعال الكلامية الحديثة التي قدّمها جون لانجو أوستين John Langshaw Austin[4] و طوّرها جون سيرل John Searle [5].

فالخبر عند البلاغيين ما احتمل الصّدق أو الكذب بحسب مطابقته للواقع أو مخالفته ، أمّا الإنشاء لا يرتبط مفهومه بالصدق أو الكذب ، و إنّما يتحقّق مدلوله بمجرّد النطق به ، وهي الفكرة نفسها التي عرضها أوستين في مبحث الأفعال الكلامية [6] حيث رفض ثنائية

---

[1]) باديس لهويمل ، التداولية و البلاغة العربية ، ص168.
[2]) ينظر ، أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، ص94.
[3]) ينظر ، خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص162.
[4]) جون لانجو أوستين: ولد في لانكشير، بريطانيا في 26 مارس 1911، درس اللسانيات و علم اللغة و الفلسفة في جامعة أكسفورد ، أحد علماء الفلاسفة الذين اهتموا بعلم اللغة، وخصوصا نظرية الأفعال الكلامية، معلّم سيرل، توفي في 8 فبراير1960، اشتهر بكتابه كيف ننجز الأشياء بالكلام الذي نشر سنة 1962، كتاب عبارة عن محاضرات جمعها طلبته في جامعة هارفارد. عن لطيفة عناياتي، أوستين و سيرلي في حوارات موسى عليه السلام ، دراسة وصفية مقارنة،بحث مقدم للحصول على درجة سرجانا (s1)، قسم اللغة العربية و آدابها كلية العلوم الإنسانية و الثقافية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج،2010،ص29-30.
[5]) جون سيرل: ولد في دينفير، كولورادو، سنة 1932، درس في جامعة ويسكرنس(1949-1952)، ثم أكسفورد سنة (1952-1959)، حصل على درجة دكتور في جامعة أكسفورد ، أصبح من علماء فلاسفة العقل و اللغة، من مؤلّفاته : المعنى و العبارة، أفعال الكلام، العقل مدخل موجز ، وغيرها.عن لطيفة عناياتي، أوستين و سيرلي في حوارات موسى عليه السلم،ص35.
[6]) ينظر ، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 162.

الصدق و الكذب التي وضعها ، المناطقة ، و خلص "إلى وجود جمل وصفية إثباتية أو تقريرية يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة و جمل ذوات نمط خاص لا يمكن أن يجري عليها هذا المعيار ،إنّ خاصية الجمل الأخيرة تكمن في إننا عندما نتلفظ بها ننجز في الوقت ذاته أعمالا"[1] ، فمثلا عند قولنا : أتمنّى لكم سفرا ممتعا ، لا يمكننا أن نصف هذه الجملة

بالصدق أو الكذب ،إذ إنّ كلّ ما يمكن قوله أنّ هذا القول قد ينجح أو يخفق أو أنّه استجاب لمقتضى الحال أو لا [2].

وفي آخر مرحلة من مراحل بحثه توصّل أوستين إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية هي : فعل القول ، فعل متضمّن في القول ، الفعل الناتج عن القول [3]. كما قام بتصنيف الأفعال الكلامية إلى: حكميات ، انفاديات ، وعديات ، سلوكيات ، و تبيينيات [4]، حيث قدم أوستين هذا التقسيم المبدئي لكنه لم يتردد في القول بأنّه غير راض عن هذا التصنيف[5].فلم تكتمل نظرية الأفعال الكلامية إلاّ بمجيء سيرل الذي رأى أنّ الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة ، فالفعل الإنجازي هو الوحدة الأوّلية لمعنى الجملة ، وهو الوحدة الأولية للاتصال ، و أعاد النظر في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية

---

[1])جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ص22.

[2])ينظر ، المرجع نفسه ، ص22.

[3])فعل القول : acte locutoire : يراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ، ذات بناء نحوي سليم و ذات دلالة و مستوى صوتي .

فعل متضمن في القول:acte illocutoire : وهو الفعل الانجازي الحقيقي ، إذ أنه عمل ينجز بقول ما ، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية.

الفعل النّاتج عن القول :acte perlocutoire: و يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب .عن محمد مدور ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ص 41.

[4]) الحكميات : الأفعال الدالة على الحكم (التبرئة ، الحكم ، التقدير ، التحليل).

الانفاذيات : الأفعال الدالة على الممارسة (الانتخاب ، التعيين ، الاستشارة ، الترشيح).

الوعديات : الألفاظ الدالة على الوعد (الرهان ، التعهد ، الضمان).

السلوكيات : الأفعال السلوكية (الاعتذار ، التهنئة ، التعزية ، الشكر).

التبيينيات : أفعال العرض (الإثبات ، التأكيد ، النفي ، الوصف ، التعريف ، التأويل).عن عمر بلخير ، نظرية الأفعال الكلامية و إعادة قراءة التراث العربي ، مجلة الأثر ، أشغال الملتقى الثالث في تحليل الخطاب ، تيزي وزو ، الجزائر .

[5]) ينظر ، محمد مدور ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –سورة البقرة- دراسة تداولية ، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اللسان العربي ، جامعة الحاج لخضر ، كلية الآداب ، باتنة ، 2014/2013 ، ص41-44.

، فبيّن ما فيه من ضعف و قدّم تصنيفا بديلا جعله في خمسة أصناف :إخباريات ، وعديات ، توجيهيات ، تعبيريات ، إعلانيات[1] [2].

و اللّغة العربية كغيرها من اللّغات تحتوي على صيغ و أدوات يستعين بها المتكلم للدلالة على القوّة الانجازية التي يريد تضمينها في كلامه ، كالاستفهام ، و التمني ، و النفي ، و الطلب ، و الترجي ...إلخ ، ممّا جعل البلاغيين الدارسين لعلم البيان ، أن يبحثوا في القوى المتضمنة في القول بغرض تحديد ما يقتضيه حال معيّن ، تطبيقا لقاعدة : مطابقة الكلام لمقتضى الحال[3] ، فاهتموا بمعاني الأساليب المختلفة و أغراضها التواصلية .

و من بين تلك الأساليب ؛ التّأكيد كما ذكرنا سابقا يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطَب و إزالة ما علق بها من شكوك ، مثل التّأكيد بأنّ و إنّ و بالقسم ، و تقديم المسند إليه على المسند و غيرها من أساليب التّأكيد المختلفة ، و بلغة سيرل هو فعل كلامي مندرج ضمن صنف التقريريات (الاخباريات) و الغرض المتضمن في القول لهذه الأساليب في رأي سيرل هو التقرير أو إدراج مسؤولية المتكلّم عن صحة ما يتلفظ به [4].

و نذكر أيضا القَسَم الذي عرّفه العرب بأنّه الحلف و اليمين ، وعدّه بعضهم من ضروب الإنشاء الطلبي ، وهو قسمين ؛ قسَم الطلب في قولنا "بالله لتفعلنّ كذا" و غرضه الالحاح في الطلب ، و يندرج هذا النوع من القسَم عند سيرل ضمن الأمريات ، أمّا القسَم

---

[1]) ينظر، محمد مدور،نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي و المناهج الحديثة ، دراسة تداولية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، ع16، 2012، غرداية، الجزائر، ص51.

[2]) الاخباريات (التقريريات):assertives:الغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما ، من خلال قضية .
الوعديات (الالتزاميات): commissives : غرضها الانجازي التزام المتكلّمشيء في المستقبل .
التوجيهيات(الأمريات) : directives : غرضها الانجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما .
التعبيريات(البوحيات) : expressive : غرضها الانجازي التعبير عن الوقف النفسي .
الاعلانيات(الايقاعيات) : declaratives : الغرض منها إحداث تغيير .عن محمد مدور ، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي و المناهج الحديثة ،دراسة تداولية .

[3]) ينظر ، مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، دار الطليعة للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ،ط1 ، 2005 ، ص6 .

[4]) ينظر ، المرجع نفسه ، ص205 .

الثاني هو قسَم الإخبار في قولنا : "و الله ما فعلت كذا" ، و غرضه تأكيد الخبر ، و هذا النوع يندرج ضمن التقريريات عند سيرل[1].

و يعدّ إجراء العقود و الإيقاعات من أهم نقاط البحث في نظرية الأفعال الكلامية من قبل علماء الفقه و أصوله ، الذين بحثوا في أحكام المعاملات التي لا تتمّ إلاّ بالفعل الكلامي ، مثل : بِعْتُكَ، أَعْتقتُكَ ، زوَّجتُكَ ،وتندرج ألفاظ العقود عند سيرل ضمن الأفعال المتضمنة في القول ، بل هي السبب في بحث الظاهرة [2]، على أنّ الايقاع يتمّ بفعل واحد أمّا العقد فيتمّ بفاعلين ، فالطلاق مثلا يعتبر إيقاعا لأنّه يكفي أن يقول الزوج : أنت طالق ، يتمّ به فعل كلامي ينتج عنه فسخ علاقة الزواج ، أمّا الزواج لا يتمّ إلاّ بفعلين إيجابا و قبولا ، ومنه يدرج الزّواج ضمن أفعال العقود[3].

ومن أهم مبادئ الأفعال الكلامية عند أوستين مبدأ القصدية إذ تتوقّف عليه الهوية الانجازية لأي فعل كلامي ، أمّا عند سيرل يرتبط ذلك بمعيارين هما : الغرض المتضمّن في القول و درجة الشدّة [4]. وهذا ما تنبّه إليه علماء الأصول أمثال ابن رشد الذي يقول في الطّلاق بأنّه :"يقع إذا كان بنيّة و بلفظ صريح " [5]. بمعنى أنّ لفظة الطّلاق فعل كلامي يتضمّن قوّة إنجازية لا تصدق إلاّ بوجود القصد و النيّة.

و غيرها من الأساليب الكثيرة التي لا يسعنا المقام للحديث عنها كلّها. لكن ما تجدر الإشارة إليه أنّ البحث في ظاهرة الأفعال الكلامية في تراثنا العربي لم يكن مقصودا دائما لذاته ، بمعنى أنّ البحث فيها كان وسيلة لا غاية حيث جعلت مدخلا لفهم علوم أخرى .[6]

---

[1]) ينظر ، المرجع السابق، ص209 .
[2]) ينظر ، محمد مدور ، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث و المناهج الحديثة ، دراسة تداولية ،ص53 .
[3]) ينظر ، طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين و البلاغيين العرب ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1994 ، ص105.
[4]) ينظر ، محمد مدور ، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي و المناهج الحديثة دراسة تداولية،ص54.
[5]) ابن رشد ، بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، شرح و تحقيق و تخريج عبد الله العبادي ، دار السّلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، مجلّد 3 ،ط1 ،1995 ،ص1419 .
[6]) ينظر ، مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ، ص8 .

و يعدّ الاستلزام الحواري أيضا نقطة التقاء بين مباحث البلاغة و اللسانيات التداولية ، حيث يعتبر بول غرايس Paul Grice[1] أوّل من اقترح هذا المبدأ ، حين لاحظ أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون ،وقد يقصدون عكس ما يقولون ، فانصبّ اهتمامه في تفسير الاختلاف بين ما يقال و بين ما يقصد ، بمعنى كيف يكون ممكنا قول شيء و قصد شيء آخر؟ و كيف يسمع المخاطَب شيئا و يفهم شيئا آخر؟[2]. فاقترح ما سمّاه "مبدأ التعاون" [3] الذي في رأيه يوصلنا إلى حوار مُثمر و ناجح .

ولم يغفل على غرايس أنّ هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك و بالتّالي ينتج عن هذا الانتهاك لتلك المبادئ تفعيل الاستلزام الحواري[4] . كما درس سيرل ظاهرة الاستلزام ضمن الأفعال اللغوية غير المباشرة ، واقترح " نسقا من القواعد الاستدلالية لوصف قدرة المخاطب على استنتاج و إدراك الفعل غير المباشر المنجز في مقام معيّن أو طبقة مقامية معيّنة"[5] .

---

[1]) هربرت بول غرايس (13 مارس 1913-28 أغسطس 1988) ، فيلسوف لغة بريطاني ، أثّرت مؤلّفاته عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي ، و تعد نظريّته حول الاستلزام من أهم و أكثر المساهمات تأثيرا في علم التداوليات .عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/هربرت بول غرايس,07/04/16,14 :50

[2]) ينظر ، محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، ص33 .

[3]) مبدأ التعاون :يحتوي على أربعة مبادئ فرعية هي :
- مبدأ الكم : qantity : اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.
- مبدأ الكيف : quality : لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.
- مبدأ المناسبة : relevance : اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع .
- مبدأ الطريقة : manner : كن واضحا ومحدّدا ، فتجنّب الغموض و اللّبس و أوجز و رتّب كلامك .عن محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر .

[4]) ينظر ، محمد مدور ، الأفعال الكلامية في القرآن –سورة البقرة- ،ص32.

[5]) حافظ إسماعيل علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص297 .

وقد انتبه علماء العربية إلى ظاهرة الاستلزام الحواري ، فقدّموا اقتراحات لوصفها ، أمثال علماء البلاغة و علماء الأصول . ومن بين علماء البلاغة السكاكي[1] في مفتاحه، الذي انطلق من ثنائية (الخبر/ الطلب) ، و فرّع كلّ قسم إلى أنواع ، ووضع لكل نوع شروطا مقامية تتحكم في إنجازه ، أي في إجرائه مطابقا لمقتضى الحال ، و يتفرّع عن هذه الأنواع أغراض تتولّد في حالة إجراء الكلام على خلاف ما يقتضي المقام ، فالطلب مثلا : يمكن أن ينتقل إلى أغراض الإنكار و التوبيخ و الزجر و التهديد في حالة ما أنجزت في مقامات تتنافى و شروط إجرائها الأصلي[2]

و يحصر السكاكي معاني الطلب الأصلية في خمسة معان : الاستفهام ، النداء ، التمني ، الأمر ، النهي . فالاستفهام مثلا شروط إجرائه الأصلية هي : طلب الحصول في الذهن ، لغير حاصل، ممكن الحصول، يهم المستفهم و يعنيه شأنه. إذا استوفت هذه الشروط كلّها في إنجاز جملة استفهامية ما ، أجرِيَ الاستفهام على أصله ، أمّا إذا أنجزت الجملة الاستفهامية في مقام غير مطابق ، يخرج معناها الأصلي إلى معنى آخر يناسب المقام الذي أنجزت فيه[3]. مثل قولنا : "هل لي من شفيع، في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع ، امتنع إجراء الاستفهام على أصله ، وولّد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمنّي "[4] .

أمّا علماء الأصول درسوا الاستلزام ضمن قرائن الأحوال ، بمعنى الانتقال من المعنى الصريح الأصلي إلى المعنى المستلزم يتحكّم فيه مفهوم القرينة ، فالغزالي لمّا تناول صيغتي الأمر و النهي ، تتبّع المعاني التي أفادتها تلك الصيغ من باب الخروج عن الأصل، انطلاقا من أنّ الخصائص الشّكلية للجمل تُظهِر مقاصد و أغراض الكلام ، فصيغة الأمر مثلا: عندما تخرج عمّا وضعت له لا نستطيع تحديد المعنى المراد منها إلاّ بالاستعانة

---

[1]) محمد بن علي السكاكي (555 ه-626 ه) ،هو عالم بالعربية و الأدب، ولد في خوارزم ، وتوفي في قرية الكندي من قرى المالية ، من آثاره : مفتاح العلوم ، كتاب الجمل ، التبيان ، الطلسم باللغة العربية ، رسالة في علم المناظرة و غيرها.عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة:
https://ar.wikipedia.org/wiki/السكاكي,07/04/16,15 :08

[2]) ينظر ، حافظ إسماعيل علوي ،التداوليات علم استعمال اللغة ،ص297 .

[3]) ينظر ، المرجع نفسه، ص299 .

[4]) محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ،ضبطه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ،1987 ،ص304 .

بقرائن و علاقات[1]، الذي قد يكون الوجوب في قوله تعالى:" أَقِمِ الصَّلاةَ "[2]، وقد يكون الإباحة في قوله عزّ وجل :" فاصْطَادوا "[3]، وقد يكون التأديب في قولنا: " كُلْ مِمّا يليك"..

و قد رأى كلّ من السكاكي و الغزالي أنّ الانتقال من المعنى الأصلي الصريح إلى المعنى الفرعي المستلزم " يتمّ بواسطة الاستدلال الذي يرتكز على عنصرين أساسيين : أوّلهما المقام الذي ينجز فيه الخطاب ، و ثانيهما الشروط الموضوعة على كلّ معنى من معاني الطلب الأصلية "[4] .

وأخيرا يمكن القول أنّ وصف هؤلاء العلماء لظاهرة الاستلزام لم يتعدّ مستوى الملاحظة و التمثيل لها مع وضع تسميات مختلفة لتلك المباحث مثل : الأغراض الأصلية ، الأغراض الفرعية، الأغراض التي تخرج إليها الأساليب ، المعنى المقامي ، المعنى الفرعي و غيرها.

خلاصة قولنا مفادها أنّ مباحث البلاغة العربية احتوت أبعادا تداولية تعرّض لها الكثير من علماء البلاغة و الأصول و حتّى النحو، و تفطّنوا إلى أهميتها في إنجاح العملية التواصلية بين المتكلّمين.

لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ العلماء العرب القدامى يختلفون عن اللسانيين التداوليين الغرب المعاصرين من حيث طريقة البحث و التناول ومن حيث الأهداف، فالعرب القدامى كان همّهم الكبير هو تفسير القضايا اللغوية للعربية من أجل أهداف أخرى (دينية ، اجتماعية ، سياسية ...)، أما الغرب المعاصرين اهتموا بتأسيس نظريات تهدف إلى دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها،إضافة إلى عامل الزمن و تطوّر العقل البشري، لذلك نلحظ أنّ الدراسات الغربية أكثر دقة و منهجية من سابقتها العربية.

---

[1]) ينظر العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ،2011 ،ص 53.
[2]) سورة لقمان ، آية 17.
[3]) سورة المائدة ، آية 2 .
[4]) العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص 65 .

ومع شساعة كلا المجالين-البلاغة و التداولية- سنختار مبحث الاستعارة التأويلية كإحدى نقط التقاطع بين العلمين ، حيث حضيت الاستعارة باهتمام كبير من قبل العديد من علماء البلاغة أمثال عبد القاهر الجرجاني وعلماء التداولية أمثال جون سيرل. لعلمهما بأهميتها مقارنة بالظواهر اللغوية الأخرى ، كما اهتمّا بطرق تأويلها و سبل فهمها لكن كلّ حسب طريقته و منهجه ،وهذا ما سنكتشفه في الفصل المُوالي.

الفصل الثاني:

الاستعارة التأويلية بين الجرجاني و سيرل

1- الاستعارة التأويلية عند عبد القاهر الجرجاني

2- الاستعارة التأويلية عند جون سيرل

3- ملامح الاستعارة التأسيسية لسيرل في تطبيقات الجرجاني (تطبيق)

1- الاستعارة التأويلية عند عبد القاهر الجرجاني:

لم يكن اهتمام الباحثين العرب بمبحث الاستعارة اهتماما كبيرا و يرجع ذلك إلى انشغالهم بالتشبيه و بكل ما يفي بمطالب الإلقاء و السماع ، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني الذي أولى الاستعارة عناية خاصة حيث درس كل أبعادها و تعمّق فيها و اعتبرها ضربا من المجاز، كما عدّها مع التشبيه و التمثيل أصلا كبيرا تتفرع منه كلّ محاسن الكلام لما فيها من لطائف خفية لا تتكشّف للمتلقي إلاّ بالتأمّل و التأني و التدبر .[1]

تحدّث عبد القاهر الجرجاني عن المجاز في إطار نظرية النظم ، "وقسّمه إلى قسمين: لغوي و عقلي ،ثم المجاز اللغوي إلى قسمين ، أحدهما يبنى على التشبيه ، و ذلك هو الاستعارة، و الآخر عبارة عن كلّ لفظ استعمل مكان لفظ آخر لصلة بينهما، وهو الذي ،فالاستعارة إذن فرع من فروع المجاز و التي" تعتمد [2]عرف أخيرا بالمجاز المرسل" إلاّ أنها تختلف عنه من حيث بناء الصورة الفنية.[3]التشبيه أبدا"

و قبل أن نفصّل في هذا الأمر يستدعي المقام أوّلا الحديث عن تعريف الجرجاني للاستعارة ،حيث يقول فيها في كتابه أسرار البلاغة:"اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه أختصّ به حين وضع، ثم ، ففي [4]يستعمله الشاعر، أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، و ينقله إليه نقلا غير لازم" هذا الموضع يعتبر الجرجاني الاستعارة نقل اللّفظ عن استعماله المتداول إلى استعمال جديد .[5]غير مألوف لبلوغ "فوائد أخرى لا تتحقق بالأداء المألوف"

---

[1])ينظر ،عبد الرحيم محمد الهبيل،فلسفة الجمال في البلاغة العربية،الدار العربية للنشر و التوزيع ،مدينة نصر،ط1 ،2004 ،ص152 .

[2])أحمد عبد السّيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين و النقاد و البلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،1988،ص82.

[3])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، دار إبن الجوزي للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ،ط 1، 2010،ص 29.

[4])المرجع نفسه ، ص17.

[5]) سامية بن يامنة، الاتصال اللساني و آليات التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلا ل العسكري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 1، 2012،ص178 .

أمّا في كتابه دلائل الإعجاز تتغير نظرته للاستعارة ، إذ لم يعد ينظر لها على أنّها تقوم على عملية نقل اللّفظ عن أصله اللّغوي بل أصبحت في نظره إدّعاء معنى الاسم للشّيء حين يقول :"فقد تبيّن من غير وجه أنّ الإستعارة إنّما هي ادعاء معنى الاسم للشّيء ،لأنّك"تثبت بها معنى لا يعرف السّامع ذلك المعنى من اللّفظ ، [1]، لا نقل الاسم عن الشّيء" و لكنّه يعرفه من معنى اللّفظ . بيان هذا، أنا نعلم أنك لا تقول :(رأيت أسدا) ، إلاّ و غرضك أن تثبت للرجل أنه مساو للأسد في شجاعته ، و جرأته ، و شدّة بطشه ، وإقدامه ، و في أنّ الذعر لا يخامره ، و الخوف لا يعرض له. ثم تعلم أنّ السامع إذا عقل هذا المعنى ، لم يعقله من لفظ أسد و لكنه يعقله من معناه"[2].

فبهذه الرؤية تكمن عملية الاستعارة عند الجرجاني في إعارة معنى المستعار منه للمستعار له ، دون جعل" المستعار له قاصرا في استحقاق الاسم عن المستعار منه" [3]، و لتوضيح رؤيته هذه يضرب عبد القاهر أمثلة من الشعر العربي منها قول الشاعر:

وغداة ريح قد كشفت و قرّة إذ أصبحت بيد الشّمال زمامها

ثم يقول في هذا البيت:"لا خلاف في أن اليد استعارة ، ثم إنّك لا تستطيع أن تزعم أنّ لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء ، و ذلك أنه ليس المعنى على أنّه شبّه شيئا باليد ، فيمكنك أن تزعم أنه نقل إليه ، و إنّما المعنى على أ نّه أراد أن يثبت (للشمال) في تصريفها (الغداة) على طبيعتها ، شبه الإنسان قد أخذ الشيء بيده يقلّبه و يصرّفه كيف يريد ، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد ، استعار لها اليد . و كما لا يمكنك تقدير النقل في لفظ اليد ، كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللّفظ . ألا ترى أنه محال أن تقول : إنه استعار لفظ (اليد) للشمال؟ و كذلك سبيل نظائره مما تجدهم قد أثبتوا فيه للشيء عضوا من أعضاء الإنسان من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان"[4].

---

[1])عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 405.
[2])المرجع نفسه ،ص401.
[3])تراث حاكم الزيادي ، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني ،دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ،ط 1، 2011،ص315 .
[4])عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 404.

و يمكن القول إنّ رأي الجرجاني في الاستعارة في هذا المقام كان رأيا متطوّرا و متقدّما من الناحية العلمية ،عمّا كان عليه في كتاب أسرار البلاغة ،و لعلّ السبب في ذلك ،التفكير النظمي الذي سيطر على عقليته في كتاب دلائل الإعجاز ،ممّا جعله ينكر التعريف الذي يرى أنّ الاستعارة نقلا ،لأنّه تعريف في رأيه يحجب الآفاق الدلالية و البلاغية التي جعلت المتكلم يتوسل بالاستعارة في كونها أبلغ من الحقيقة[1].

لقد جعل عبد القاهر الاستعارة ضرب من التشبيه في قوله:"و التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له ،أو صورة مقتضبة من صوره[2] ، فالاستعارة مثل التشبيه من حيث الخصائص المنطقية ، لأنها تعتمد طريقة الإثبات نفسها التي يعتمدها التشبيه ، إلاّ أنّها تختلف عنه في كيفية الإثبات و درجته ،فعندما تقول (رأيت أسدا) فهذه استعارة لأنك أنزلت زيدا منزلة الأسد بأمر قد ثبت له ، ومن ثمّ لا تحتاج إلى إثبات ، أمّا إذا قلت (زيد هو الأسد) فهذا تشبيه بليغ لأنك أخرجت كلامك عن زيد مخرج ما يحتاج إلى إثبات و تفسير بعكس القول الأول ،أي الفرق بين التشبيه البليغ و الاستعارة هو فرق في درجة الإثبات[3].

كما يفرّق الجرجاني بين التشبيه و الاستعارة من حيث تعدّد المعاني ، لأنّ التشبيه يثبت حالة أو صفة أو جنس فيحدده دون مجاوزة ، أمّا الاستعارة فتأتي بمعان زائدة و صفات إذ هي أكثر كثافة منه و إيحاء ، بل و أكثر منه غرابة لما فيها من غرابة الاقتران[4] إضافية بين طرفين غير متوقّع اجتماعهما أثناء عملية الاختيار و التأليف ،فهي من هذا المنطلق حتّى التّماهي ، لأنّ الاستعارة تتخطّى مستوى المشابهة[5] تحقق فلسفة الجمع بين المتباعدات

---

[1])ينظر ،حاكم الزيادي ،الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني ،ص313.

[2]) عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، ص16.

[3])ينظر ، جابر عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط 3، 1992،ص228.

[4])ينظر ، عطية أحمد أبو الهيجاء ،معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني بين النظرية و التطبيق ،دار الخليج ،عمان ،الأردن ،ط 1، 2010،ص98 .

[5])ينظر ،عبد الرحيم محمد الهبيل ،فلسفة الجمال في البلاغة العربية ،ص153.

و المماثلة بين طرفي التشبيه و تتجاوزه إلى ضمّ طرفيها معا و استبدال ثانيهما بأوّلهما ، بل و تلغي المغايرة و المخالفة بينهما و تدّعي أنّ هذا أصبح عين ذاك.[1]

إذن هنا تتجلّى قيمتها الفنية مقارنة بالتشبيه فهي أعلى مقاما منه و أبلغ و بالرّغم من اعتمادها عليه إلاّ أنّ حسنها يكون على قدر إخفاء التشبيه[2] حيث يرى الجرجاني أنّه كلما كان مكان الشبه بين الشّيئين أخفى و أغمض و أبعد من العرف ، كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين و أحسن في الاستعمال . فأداة التشبيه مثلا كلّما استغنينا عنها في الكلام كلما تداخل طرفي الاستعارة و اتّحدا فيقوى الشّبه بين الأصل و الفرع [3]*.ففي قولنا "كأن العلم نور" لا يوازي قولنا "العلم نور" من حيث البناء الفنّي من جهة ومن حيث الإيجاز و الإبلاغ و التأثيرمن جهة أخرى.

ومنه نرى أن عبد القاهر في دراسته للاستعارة في كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز، استوفى جلّ جوانبها بالبحث و التنقيب و التصنيف و ذكر أهميتها الكبيرة في نظم الكلم و في عملية التّواصل بين المتخاطبين ، كما أورد لها الكثير من المحاسن و الخصائص الجمالية و الفنية من حيث "أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللّفظ حتّى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، و تجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر . و إذا تأمّلت أقسام الصّنعة التي بها يكون الكلام في حدّ البلاغة ، ومعها يستحقّ وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها ، و تقصر عن أن تنازعها مداها ، و صادفتها نجوما هي بدرها ، و روضا هي زهرها ، و عرائس ما لم تعرها حليها فهي عواطل ، و كواعب ما لم تحسّنها ، فليس لها في الحسن حظ كامل . فإنّك لترى الجماد بها

---

[1])ينظر ،جابر عصفور الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ،ص229.

[2])ينظر ،عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ص414.

*)إنّ بناء الدلالة الاستعارية هو بناء قائم على صفة مشتركة جامعة بين طرفين ،أحدهما أصل وهو المستعار منه ،و الآخر فرع وهو المستعار له ، إذ تكون الصورة الاستعارية ، قائمة على العلاقة بينهما ، و قد أشار الشريف الرضي (ت406 ه) إلى ذلك الأمر بقوله :"أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ، و مستعار له ، فالمستعار منه أصل وهو أقوى ، و المستعار له فرع وهو أضعف ، وهذا مطّرد في سائر الاستعارات" . فالرضي في كلامه يشير إلى وجوب أن يكون المستعار منه (الأصل) أقوى تمكنا في الدلالة على الصفات المراد إثباتها ، من المستعار له (الفرع) . عن تراث حاكم الزيادي ، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرحاني ، ص314 .

[3])ينظر ، عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 176.

حيّا ناطقا ، و الأعجم فصيحا ،و الأجسام الخرس مبينة ، و المعاني الخفيّة بادية جليّة ، و إذا نظرت في أمر المقاييس ، وجدتها ولا ناصر لها أعزّ منها ،ولا رونق لها ما لم تزنها ، و تجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ،إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنها قد جسّمت حتّى رأتها العيون ، و إن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانيّة حتّى تعود روحانيّة لا تنالها إلاّ الضنون"[1].

كما اعتبرها قياس"و القياس يجري فيما تعيه القلوب ، و تدركه العقول ، و تستفتي فيه الأفهام و الأذهان ،لا الأسماع و الأذان"[2] بمعنى أنّ الاستعارة تستوجب إعمال العقل لإدراكها و فهمها ،عن طريق توظيف عمليات ذهنية إستدلالية تأويلية ."و هكذا كانت الاستعارة عند الجرجاني تذوقا و تأويلا"[3].

و مفهوم التأويل عند الجرجاني :"تأوّلت الشيء أنك تطلبت ما يؤول إليه من الحقيقة ، أو الوضع الذي يؤول إليه من العقل ، لأنّ 'أوّلت و تأوّلت' فعّلت و تفعّلت من 'آل الأمر إلى كذا يؤول' إذا انتهى إليه ، و 'المآل' المرجع"[4].ومنه التأويل عند الجرجاني هو طلب الحقيقة عن طريق العقل.

و الحاجة إلى تأويل النصوص عند عبد القاهر متفاوتة بحسب نوعية تلك النصوص "فمنه يقرب مأخذه و يسهل الوصول إليه ، و يعطى المقادة طوعا ، حتى أنه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأوّل في شيء ...ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل ، ومنه ما يدق و يغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رويّة و لطف فكرة"[5] . بمعنى أنّ النصوص عند الجرجاني تختلف من حيث درجات غموضها و بالتّالي في تأويلها ، فمن النصوص ما هو سهل قريب المنال نصل إلى غرضه بدلالة ألفاضه الظاهرة ، و منها ما يحتاج إلى نوع من التدبّر و التفكير ، و منها ما يحتاج إلى التدقيق في المعاني و الغوص في أعماقها ،فلا يصل إلى فهمها إلاّ من يملك ملكة الفطنة و الفهم الثاقب ، حيث "لا تفيد

---

[1])المرجع السابق، ص23.
[2])المرجع نفسه، ص12.
[3])امباركة عليوات ، التأويل الاستعاري عند عبد القاهر الجرجاني ،ص 86.
[4])عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة،ص 52.
[5])المرجع نفسه ،ص 48.

غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ،و لكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ،ثم يعقل السامع من ذلك المعنى ، على سبيل الاستدلال ، معنى ثانيا هو غرضك ،كمعرفتك من (كثير رماد القدر) أنّه مضياف ، ومن (طويل النجاد) أنّه طويل القامة ، و من (نؤوم الضحى) في المرأة ، أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها"[1].

ممّا تقدّم نستنتج أنّ الإجرء التأويلي عند عبد القاهر الجرجاني يتمّ في ثلاث مراحل ،حدّدها الباحث محمد سالم سعد الله[2] في : فهم النص ، تفسير النص ، الاستنباط . فمرحلة فهم النص تتمّ على المستوى الظاهري (الحرفي) للنص من خلال استيعاب شبكة منظومة الدوال ، لغرض الانتقال إ لى مرحلة التفسير التي تعنى بالكشف و الإظهار ، لنصل إلى مرحلة الاستنباط و الفهم العميق للنص عن طريق الاستدلال ،فالقراءة التأويلية لا بدّ أن تتمّ باستغراق القارئ في عالم النص استغراقا تامّا حتّى لا تظلّ القراءة سطحية التي تؤدّي إلى التأويل الخاطئ[3].

فالجرجاني في هذا المقام يحدّد الخطوات الرئيسية التي يعتمدها المؤوّل في الانتقال من المعنى العرفي أو المعجمي الظاهر للّفظ ،إلى معنى آخر يشير إليه ذلك اللّفظ و الذي لم يكن له وجود أصلا ضمن حدود اللّفظ[4] ، وهذه العملية الانتقالية التي يشير إليها الجرجاني يسمّيها الاستدلال ، و التي تلعب دورا جوهريا في عملية التأويل بل و تعتبر الآلية الوحيدة التي تمكّن المتلقي من استنباط قصد المتكلم عن طريق إعمال العقل"ألا ترى أنّك لمّا نظرت إلى قولهم : (هو كثير رماد القدر) ، و عرفت منه أنّهم أرادوا أنّه كثير القرى و الضيافة ،لم تعرف ذلك من اللّفظ ،و لكنّك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت : إنه كلام قد جاء عنهم في المدح ، و لا معنى للمدح بكثرة الرماد على أنّه تنصب له القدور الكثيرة و يطبخ فيها للقرى

---

[1])عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 272.

[2])محمد سالم سعد الله ، ناقد و باحث أكاديمي ، عراقي ،مدرس الفلسفة و المنطق و الفقه الحضاري و حقوق الإنسان في جامعة الموصل ،تحصّل على الماجستير عام 1999 و على دكتوراه عام 2002،شغل مناصب علمية كثيرة ،وأنجز أبحاثا و مقالات متعدّدة .عن شبكة الانترنيت:
http://www.odabasham.net/محمد سالم سعد الله,07 /04/16 ,15 :25

[3])ينظر ،محمد سالم سعد الله ،مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني نموذجا ،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،الأردن،ط 1، 2007،ص80.

[4])ينظر ،محمد عبد الرزّاق عبد الغفّار ، عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي الحديث دراسة في إشكالية التأويل ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،الأردن،ط1 ،2002 ، ص54.

و الضيافة ،و ذلك لأنّه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب تحتها ، و إذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة "[1] .

من خلال قول الجرجاني سالف الذكر يمكن تحديد الخطوات العقلية لـتأويل عبارة :"كثير رماد القدر" كالآتي :

1. تحديد المقام الذي وردت فيه العبارة ، وهو مقام المدح.
2. كثرة الرماد تشير إلى كثرة إحراق الحطب.
3. كثرة إحراق الحطب تشير إلى القدور المنصوبة.
4. كثرة القدور المنصوبة تشير إلى كثرة الطبخ.
5. كثرة الطبخ تشير إلى القرى و الضيافة.

و هذا ما يعرف بعملية التعاقب السببي التي ترتكز عليها عملية الاستدلال العقلية ،التي توصلنا إلى معنى المعنى و بالتالي إلى قصد المتكلّم[2].لكن هل هذه الخطوات السابقة الذكر ، السبيل الوحيد للوصول إلى قصد المنشئ للكلام ؟.

هذا ما لم يغفل عنه عبد القاهر في نظريته (النظم). حيث يرى أنّ الوصول إلى قصد المخاطب يكون بالنّظر في طريقة نظمه (المخاطب) للكلام الذي يظهر في ترتيب الألفاظ بحسب انتظامها في نفس المتكلّم ، و ذلك من خلال العلاقات النحوية الدلالية[3]، إذ لا " تعرف للفظ موضعا ، من غير أن تعرف معناه ، و لا أن تتوخّى في الألفاظ ،من حيث هي ألفاظ ، ترتيبا و نظما ، و أنك تتوخّى الترتيب في المعاني و تعمل الفكر هناك ، فإذا تمّ لك ذاك أتبعتها الألفاظ و قفوت بها آثارها ، و أنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ،بل تجدها تترتّب لك بحكم أنها خدم للمعاني ،

---

[1])عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص400.
[2])ينظر ، محمد عبد الرزّاق عبد الغفّار ،عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي الحديث ،ص62.
[3])ينظر ،المرجع نفسه ، ص59.

و تابعة لها و لاحقة بها ، و أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس ،علم بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق"[1].

فمن خلال قول الجرجاني نستخلص أنّه على كلّ مؤوّل أن يتقصّى كيفية توزيع المتكلّم للكلمات في المحور التركيبي أثناء الحدث الكلامي فبحسب موقع كلّ كلمة يكون القصد المراد إبلاغه للمتلقي .

ويستعين الجرجاني في تأويله أيضا بالعادات اللغوية العربية ، و ذلك بالرجوع إلى الإنتاجات الأدبية القديمة و الممارسات اللّفظية العريقة ،ففي قول الشاعر:

أبكاني الدهر و يا ربما أضحكني الدهر بما يرضي

ألا إنّ عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود

حيث استعمل الشاعر كلمة جمود للدلالة على المسرّة و السّلامة، لكن عبد القاهر يعارض الشاعر في استعمال هذه اللّفظة لذلك المعنى لأنّه لم يجد في الاستعمالات القديمة "أحد جعل جمود العين دليل سرور و أمارة غبطة ، و كناية عن أنّ الحال حال فرح"[2].

ومنه كان الجرجاني في تأويله يستند على أسس ذكرها محمد الولي[3] هي:

1. القيم اللغوية الأساسية و المعرفة المتقاسمة بين كل الناس.
2. القرائن اللفظية و النصية .
3. القرائن المقامية التجريبية .
4. القيم الدينية الإسلامية و المذهبية فيما يخصّ تأويل القرآن[1].

---

[1])عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 105.

[2])المرجع السابق ،ص 278.

[3])محمد الولي ،أستاذ البلاغة العربية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ،مهتم بالبلاغة اليونانية و الغربية المعاصرة . ساهم في ترجمة عديد من الدراسات من الإسبانية و الفرنسية إلى العربية . تتسم أبحاثه بمحاولات تجريب المناهج الجديدة في البلاغة . يظهر ذلك في أول كتاب نشره بعنوان الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي.عن محمد الولي ،الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية.

والتأويل يستوجب مؤوّلا له علم و دراية بأقوال العرب و أساليبهم المجازية و معرفة تامّة بقواعد النّظم،ثم معرفة بقواعد القياس و طرق الاستنباط و الاستدلال، حيث يعتبِر عبد القاهر هذه الكفاءة المعرفية شرطا أساسيا يجب توفّرها في كلّ مؤوّل للوصول إلى تأويل صحيح إذ يؤكّد عليها في قوله:"وهو مما يعلم به العاقل شدّة الحاجة إلى هذا العلم ، و ينكشف معه عوار الجاهل به ، و يفتضح عنده المُظهر الغنى عنه . ذلك لأنه قد يدفع إلى الشيء لا يصحُّ إلاّ بتقدير غير ما يريده الظاهر، ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلا بهذا العلم، فيتسكّع عند ذلك في العمى، و يقع في الضلال "[2] .

وبالتآلي التأويل عند الجرجاني ليس في متناول كلّ متلقٍ ، فهناك ضروب من المعاني"كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلاّ أن تشقّه عنه، و كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كلُّ فكر يُهتدى إلى وجْه الكشف عمّا اشتمل عليه، ولا كلّ خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كلّ أحد يُفلح في شقّ الصدفة، و يكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلّ من دنا من أبواب الملوك فُتحت له"[3] .بمعنى أنّه لكي يظهر المؤوّل ما استتر، ويوضّح ما غمض،يجب عليه أن يتحمل الكثير من المشاق و يكابد العديد من الصعاب، لأنّ التأويل عملية صعبة و معقّدة تستوجب من المؤوّل أن يتمتع بكثير من الملكات ، و أن يتسلّح بكثير من الآليات، ليتمكن من الوصول إلى قصد المُنشِئ[4] .

خلاصة ما تقدّم يمكن القول إنّ الجرجاني يعدّ من أهم البلاغيين العرب الذين اهتمّوا بالاستعارة و بتأويلها ، حيث قام بتعريفها و تصنيفها ورصد أوجه استعمالها عند العرب و ذكر أهميتها و محاسنها و مكانتها بين مباحث البلاغة ، ولم يكتف بذلك بل بحث في طرق و سبل فهمها و تفسيرها ووضع قواعد و أسس تضبط عملية تأويلها، لأنّ الاستعارة نشاط تداولي أساسا يستوجب حضور متزامن للمبدع و المؤوّل، فالمبدع ينظم نصا والمتلقي يوظّف خبرته اللغوية ويستخدم آلياته المعرفية ليتوصل إلى مقاصد الناظم. فالناص يقوم

---

[1])ينظر ،محمد الولي ،الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية ،دار الأمان ،الرباط ،ص1 ، 2005 ، ص 304.

[2])عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص274.

[3])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص74.

[4])ينظر،امباركة عليوات، التأويل الاستعاري عند عبد القاهر الجرجاني،ص95-96.

بعملية تشفير المعنى الذي يقصده، و المؤوّل يقوم بعملية فك هذا التشفير، ولكي يتحقق تداول الاستعارة، لابد أن يكون المؤوّل مبدعا في القراءة،كما كان المؤلّف مبدعا في نظمه[1].

إذن الاستعارة ليست مجرّد زخرفا لتزيين الكلام، بل فن لغوي تداولي[2] مشترك بين المرسل و المتلقّي ،له أهداف تواصلية إبلا غية أكثر منها جمالية، ولعلّ هذا ما جعل عبد القاهر يعطي اهتماما كبيرا للاستعارة ولتأويلها في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز. وهذه النظرة التداولية للاستعارة تقترب إلى حدّ كبير من نظرة الدارسين الغرب التداوليين أمثال جون سيرل وهذا ما سنتطرّق إليه في الجزء الآتي.

---

[1])ينظر،المرجع السابق، ص97.

[2])ينظر، وشن دلال،جامعة بسكرة/لحمادي فطومة،جامعة تبسة،مقال(تداولية الاستعارة الحجاجية"لنص الرثاء" متمم بن نويرة-أنموذجا-،مجلة الخبر،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الأدب العربي،جامعة بسكرة،ص3.

2- :الاستعارة التأويلية عند جون سيرل

استفاد جون سيرل من نظرية أستاذه أوستين للأفعال الكلامية كثيرا،حيث واصل البحث فيها و طوّرها ببحثين رائدين هما:إعادة تصنيف الأفعال اللغوية،و إقتراح جديد أسماه الأفعال اللغوية غير المباشرة ،لأنه رأى أنّ هناك جمل؛ النطق بها لا يعبّر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلّم،حيث يمكن للمرء أن يطلب من جليسه أن يمرر له الملح بأن يقول حرفيا:"أطلب منك أن تمرر لي الملح"، لكن المرء يقول في العادة:"هل تستطيع أن تمرر لي الملح؟" أو"هل لي بقليل من الملح؟" وما شابه ذلك. فهذه الحالات يؤدّي فيها المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة، كما رأى أنواع أخرى من الحالات، حيث يختلف معنى الجملة نسقيا عن المعنى الذي يقصده المتكلّم كالاستعارة والكناية و السخرية وغيرها من الأساليب المجازية[1].

يعدّ سيرل من أهم الباحثين الذين اهتموا بقضية تفسير الجملة في حالة فعلها،وتعتبر الاستعارة إحدى المشكلات الأساسية التي واجهته، حيث بدأ بحثه في الاستعارة بوضع مجموعة من الإشكاليات في كتابه المعنى و التعبير كالآتي:" ماهي الاستعارة؟وكيف تتميّز عن الأشكال الحرفية و عن الأشكال المجازية الأخرى؟ لماذا نستعمل عبارات استعارية بدلا من التعبير حرفيا عمّا نقصده؟كيف تعمل التعبيرات الاستعارية؟بمعنى:كيف يمكن التحدث استعاريا بدون قول ما نعنيه؟ ما الذي يجعل بعض الاستعارات مناسبة و أخرى غير مناسبة؟ ثم يؤكّد على سؤاله الأخير الذي يطرح إشكالية كيفية عمل الاستعارة،فهو برأيه سؤال أساسي و مهم ، ولا يمكن الإجابة عن الأسئلة الأخرى قبل الإجابة عنه[2].

ولتحديد مساره في عملية البحث عن حل لهذه الإشكالية، ارتأى أن يعيد صياغة سؤاله بطريقة دقيقة وواضحة :كيف يمكن قول شيء ونعني شيئا آخر؟ وكيف ننجح في إيصال ما نعنيه، في الوقت الذي يعلم كلٌّ من طرفي الحديث أنّ المعنى الحرفي لقول المتكلم لا يُعبِّر

---

[1])ينظر، جون سيرل، العقل و اللغة و المجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2006،ص220.

[2]) voir,John R.Searle , sens et expression ,études de théorie des actes de langage, traduction et préface par Joëlle Proust, les éditions de minuit, paris, 1992,p121.

،وفي هذا الشأن قام سيرل بتهديم الفرضية القائمة على ازدواجية المعنى داخل [1]عن قصده؟ العبارة – تتضمّن العبارة معنى حرفي و معنى مجازي- إذ يُقِر أنّ الجملة لا تملك سوى [2]معناها فقط، و الحديث عن المعنى الإستعاري هو حديث عن المقصديات الممكنة للمتكلّم

.

ومن هذا المنطلق ميّز جون سيرل بين معنيين: الأوّل معنى تلفّظ المتكلّم، والثاني معنى . و بناء على [3]الكلمة أو العبارة، ويرى أنّ المعنى الإستعاري هو دائما معنى تلفّظ المتكلّم هذا التصوّر الذي طرحه سيرل، يكون تأسيس نظرية للإستعارة بتحديد المبادئ التي تصل المعنى الحرفي للجملة بالمعنى الإستعاري للتلفظ، وهي مبادئ تتعلّق بالسؤال الخاص بكيفية اشتغال الاستعارة داخل الخطاب و كيفية تمثّل الدلالة،حيث يكون في حالة التلفظ الحرفي معنى المتكلم يطابق معنى الجملة،لكن في حالة التلفظ الإستعاري يحتاج المستقبل إلى معرفة [4]أكثرللغة عن طريق تهيئة مبادئ أخرى تسمح له بفهم قصد المتكلّم.

فالتمييز الذي قام به سيرل بين المعنى الحرفي ومعنى المتكلّم له أهمية في دراسة المنطوق الاستعاري، إذ يلعب مفهوم الدلالة الحرفية دورا حاسما في نظريته، فالدلالة الحرفية ينبغي أن تكون ظاهرة لأنها هي المنطلق وهي التي تساعدنا على فهم كل الاستعمالات غير الحرفية و إدراكها.وبالتالي اعتمد سيرل على المعنى الحرفي بشكل .[5]أساسي حيث اعتبره الحلقة الأولى في تأويل المنطوق الاستعاري

وكما اهتم جون سيرل بدراسة كيفية اشتغال الاستعارة و الإلمام بجميع جوانبها في كتابه المعنى و التعبير، أعطى أهمية أيضا إلى إشكالية تأويلها ، حيث خصّص لإشكالية تأويل

---

[1]) voir, John R Searle, sens et expression, p122.

[2]) ينظر،جميلة كرتوس،الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة و الأدب العربي،فرع تحليل الخطاب،قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة تيزي وزو،2011،ص59.

[3]) voir, Ibid, p123.

[4])ينظر، لخذاري سعد، الاستعارة وحدة في التسمية و اختلاف في الحدود و المفاهيم، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر، مجلة الأثر،العدد20، جوان2014، ص2019.

[5])ينظر، حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة ، ص267.

، فيبدأ مبحثه [1]الاستعارة جزءا معتبرا في المؤلّف نفسه بعنوان "مبادئ التأويل الاستعاري" هذا بإشكالية فهم الاستعارة، و يقترح استعارة بسيطة، إذ يقول: كيف يمكن للمتكلّم أن يقصد أنّ "س هو ر" بقوله استعاريا أنّ "س هو ص" ، إذ "ص" يختلف عن "ر"؟ أو بطريقة أخرى ؛ كيف للمستقبل أن يفهم عند سماعه العبارة "س هو ص" بأنّ المتكلم كان يقصد أنّ "س هو ر"؟ ثم يقترح إجابة مختصرة، لكنّها برأيه مبهمة قليلا، مفادها أنّ معنى "ص" يستدعي إلى الذهن معنى "ر" ، لكن هذه الإجابة تبقى بدون إثبات لأننا نجهل المبدأ الذي يقوم على أساسه استدعاء المعنى الاستعاري إلى الذهن. فيقترح سؤالا آخر هو: كيف لشيء أن يذكّرنا بشيء آخر؟ فيقول أنّ الاستعارات محدودة و نسقية في الوقت نفسه؛ محدودة لأنّه هناك طرق تسمح للشيء بأن يذكّر بغيره، و هذا النوع لا يدخل ضمن الاستعارة، و نسقية لأنّ الاستعارات يجب أن تكون متعارف عليها بين المرسل و المستقبل ، بحيث يكونان مشتركان في مبادئ فهمها ، فمثلا عند سماع المستقبل عبارة:"صوفيا ثلجا" ماهي الخطوات التي يجب أن يعتمدها لفهم المعنى الاستعاري لتلك العبارة؟[2].

فيقترح سيرل بأنّه على المستقبل أن يمرّ على الأقل بثلاث مراحل لتأويل الاستعارة :

أوّلا: يجب أن تكون هناك استراتيجية تسمح له أن يقرّر إذا كان عليه أن يبحث على تأويل استعاري للعبارة؛ أي إذا كانت العبارة ناقصة في معناها الحرفي، يجب البحث عن معنى آخر يختلف عن معنى الجملة.

ثانيا: عندما يقرّر أن يبحث عن تأويل استعاري، يجب أن تكون هناك مجموعة من الاستراتيجيات أو المبادئ التي تسمح له برصد القيم الممكنة ل"ر"؛ ولكي نجد القيم الممكنة ل"ر" في العبارة "س هو ص" نبحث عن الصفات التي يتشابه فيها "س" مع "ص"، و لكي نعرف من أي وجهة يتشابه فيها "س" مع "ص" ،نبحث عن السمات البارزة و المعروفة و المميّزة ل"ص".

---

[1])Ibid,p151.

[2]) voir, Ibid, p152.

ثالثا : يجب أن تكون مجموعة من الاستراتيجيات أو مبادئ تسمح له بحصر مجال قيم "ر" و ذلك بالرجوع إلى كلمة "س"، و اختيار قيم "ر" التي تشكّل خصائص قريبة من المعقول أو الأكثر احتمالا أو الممكنة ل "س"، من مجموع القيم الكلية ل "ص".[1]

و لفهم تلك المراحل يقترح سيرل المثال الآتي : "جون خنزير"

أوّلا: هذه العبارة غير مقبولة بمعناها الحرفي ،إذ لا يمكن أن يكون الإنسان حيوان، و بالتالي العبارة تتطلب تأويلا.

ثانيا : البحث عن السمات البارزة للخنزير وهي: ذهني، مقرف،وسِخ، شرِه،كثير الشعر،مفترس...إلخ.

ثلثا: نختارصفات الخنزير التي تتوافق مع طبيعة الإنسان مثل: شره، وسخ، مقرف .

ومنه العبارة "جون خنزير" يريد بها قائلها وصف جون بالوساخة والشره و القرافة.

إذن على المؤوّل أن يستخدم معرفته القبلية لطبيعة كلٌّ من "س" و "ص" ليكون بإمكانه تحديد القيم الممكنة ل "ر" ، حيث هذه القيم يتمّ انتقائها من بين كلّ القيم باعتبارها الأقرب احتمالا و معقولة تساعدنا في التنبُؤ الاستعاري .[2]

ثم يطرح جملة من الإشكاليات نذكر منها : كيف يمكن رصد القيم الممكنة ل "ر"؟. و كيف أنّ العلاقة بين "س" و "ص" تحدّد مجال "ر" ؟ .

فيقترح سلسلة من المبادئ التي بواسطتها النطق ب "ص" يسمح باستدعاء معنى "ر" بطريقة استعارية كالآتي:

المبدأ 1: "ص" تعني في تعريفها "ر". و إذا اشتغلت الاستعارة، "ر" ستكون عموما واحدة من الخصائص البارزة في تعريف "ص".

مثل: "جون عملاق" بمعنى "جون كبير".

لأنه عند تعريف العمالقة نعرّفهم بأنّهم ذو أحجام كبيرة كخاصية بارزة و دائمة فيهم.

المبدأ 2: "ص" تعني عرضيا "ر"، و إذا اشتغلت الاستعارة ، يجب أن تكون خصّيصة "ر" خصيصة بارزة أو معروفة ل "ص".

مثل: " جون خنزير" بمعنى "جون مثير للاشمئزاز، شره، مُهمِل " .

---

[1]) voir, Ibid , 153-154.

[2]) Ibid , p155.

المبدءان 1 و 2 يندرجان ضمن التعبيرات الاستعارية القائمة على أساس المشابهة:
"جون عملاق" بمثابة "جون شبيه بالعملاق"، "جون خنزير" بمثابة "جون شبيه بالخنزير"[1].

نحن نقول عموما أنّ خصائص "ر" هي خصائص "ص"، حتّى ولو أنّ المرسل **المبدأ 3:** و المستقبل يعرفان من جهتهما أنّ خصائص "ر" لا تمثّل خصائص "ص".

مثل: "ريشارد دُب لم تلحسه أمّه جيّدا" بمعنى " ريشارد رجل وقح ،غير اجتماعي، سيّء التربية". حتّى ولو أنّ المرسل و المستقبل يعرفان أنّ الدببة غير اجتماعيين ولو يكيّفوا منذ ولادتهم على أن تلحسهم أمهاتهم .

هنا يبيّن سيرل أنّ الاستعارة لا تشتغل بالضرورة وفق التشابه، حيث هذه الجملة لا تعني أنّ ريشارد والدببة التي لم تلحسها أمّها جيّدا لهما نقطة تشابه (الغلظة و الرعونة)، و الاعتقاد بأنّ الدببة التي لم تلحسها أمّهاتها جيّدا تكون عنيفة هو اعتقاد خاطئ، وهذه الجملة ليس لها معنى حرفي ، حيث لا تنطبق إلاّ استعاريا ، و شروط نجاح إخبار حصول التشابه بين جون و الدببة لم يقع تحقيقها[2]،فهي من الاستعارات المخترعة تلقائيا.

خصائص "ص" ليست خصائص "ر" ، ولا تشبهها، لكن نستنتجها عن طريق **المبدأ 4:** ربطها بوقائع طبيعية أو ثقافية، فنخرج بنتيجة أنّ "ص" ترتبط ب"ر" في أذهاننا.

مثل: "صوفيا ثلج" بمعنى "صوفيا غير حسّاسة".

فهذه الاستعارة لا تعتمد على علاقة المشابهة الحرفية ، ولكن نلاحظ أنّ الجمع بين "ص" و "ر" يقوم على احترام النسبية حيث كلما ارتفعت درجات الانفعال ارتفعت الحرارة .

"ص" لا تشبه "ر" ، لكن الحالة التي تكون فيها "ص" تشبه الحالة التي تكون **المبدأ 5:** فيها "ر".

مثلا: يمكن القول لإنسان في حالة حصوله على ترقية مهمّة: "ها أنت برجوازي".

فنحن لا نريد أن نقول له بأنّه أصبح شبيه بالبرجوازي لكن حالته الجديدة تشبه حالة البرجوازي.

---

[1]) Ibid, p156

[2]) ينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا ،ط1، 2007، ص73.

توجد حالات تكون فيها "ص" و "ر" لهما معنى متماثل أو متشابه ،لكن واحدة **المبدأ 6:** منهما ، غالبا "ص"، لها استعمالات مقيّدة لاتستعمل حرفيا ل "س".

مثلا: نستعمل حرفيا صفة "بالي" فقط للأقمشة كقولنا : "هذا النسيج بالٍ"، لكن يمكننا القول استعاريا: هذه المرأة بالية، هذا الكلام بالٍ، هذا الفكر بالٍ.[1]

هذا الجزء ليس مبدأ، ولكن بعض التطبيقات للمبادئ الأولى على استعارات من **المبدأ 7:** نوع آخر ،استعارات الأفعال أو الصفات مثل: جون طلّق كتابه، السفينة حرثت البحر، واشنطون أب هذا البلد.

عمل المؤوّل ليس الانتقال من "س هو ص" إلى "س هو ر" و إنّما الانتقال من (س علاقة ص سَ) إلى (س علاقة ر سَ).

في الاستعارة "س هو ص" الخصيصة المشتركة بين "س" و "ص" هي "ر" لكن في هذا النوع من الاستعارات لا يوجد علاقة مشتركة ، بالعكس يجب الحصول على علاقة "ر" مختلفة عن علاقة "ص" لكنّها تشبهها في بعض المظاهر .

عندما نطبّق المبدأ 1: العلاقات "ص" هي في تعريفها علاقات "ر" .

مثل الكلمة حرث تعرّف بأنّها : عملية تحويل مادّة من كلّ اتجاه عن طريق شيء حاد أثناء تقدّمه إلى الأمام .

أيّا كان التشابه في التعريف بين العلاقة "ص" و العلاقة "ر" يستطيع هذا التشابه أن يزوّد المؤوّل بمبدأ يسمح له أن يخمّن العلاقة "ر".

عمل المؤوّل أن يجد علاقة أو خصيصة تشبه العلاقة أو الخصيصة المعبّرة حرفيا في العبارة الاستعارية "ص"، أو تشبهها من وجهة ما.

هذا المبدأ يسمح للمؤوّل أن يختار العلاقة أو الخصيصة التي تمنحه المظهر الذي يشترك فيه "ص" مع "ر".[2]

في المثال: "جون طلّق كتابه" بمعنى " جون لم يعد يقرأ كتابه"

عَمَلْ المؤوّل هنا هو البحث عن كيفية الانتقال من علاقة الطلاق بين جون و الكتاب إلى علاقة انقطاع جون عن قراءة الكتاب .

---

[1])Ibid,p 156-158.

[2])Ibid, p 158.

فعلاقة الطلاق هنا تختلف عن علاقة الانقطاع لكنها تشبهها في بعض المظاهر .
الطلاق:هو الانفصال و الابتعاد ، زوال الاتصال بين زوجين .
إذن هذا التعريف يساعدنا في تخمين العلاقة "ر" أي المعنى المراد ؛ وهو أنّ جون ابتعد عن قراءة كتابه ، ولم يعد يتّصل به عن طريق القراءة.
ومنه المظهر الذي يشترك فيه "ص" (علاقة طلاق جون للكتاب) ب"ر" (انقطاع جون عن قراءة الكتاب)، هو مظهر الانفصال و الابتعاد.

هنا حديث عن الكناية و المجاز،حيث يعتبرهما سيرل حالات خاصة من **المبدأ 8:** الاستعارة.عندما نريد أن نعني أنّ "س" هو "ص" نقول استعاريا "س هو ص"، "ص" و "ر" يمكن أن يرتبطا عن طريق علاقات : (جزء/ كلّ) ، (يحتوي/محتوى)...،ففي كلّ الحالات مثل الاستعارة ؛ المحتوى الدلالي للكلمة "ص" يستدعي المحتوى الدلالي للكلمة "ر" ، ومنه يمكن تحليل الكناية و المجاز كحالات خاصة للاستعارة ، كما يمكن أن نرمز لملكة بريطانيا ب"التاج" ، وللولايات المتحدة ب"البيت الأبيض" عن طريق استغلال مبادئ التفكير المنهجي المشترك.[1]

يتحدث سيرل في هذا المبدأ عن حالات من الاستعارة التي لم يجد لها تفسير **المبدأ 9:** منطقي ، مثل وصف الصوت بأوصاف(شفاف ، بلوري، حاد) في قولنا:
صوت جون شفاف / صوت جون بلوري / صوت جون حاد.[2]

هذه هي المبادئ التسعة التي تطرّق لها جون سيرل التي برأيه توضّح العلاقات الممكنة بين "ص" و "ر" أي الكيفية التي بواسطتها المعنى الحرفي يستدعي المعنى الاستعاري ، وبالتالي تأويل التعبيرات الاستعارية ، حيث يقول:"حاولت أن أضع عدّة مبادئ ، لكن أنا متأكد أنّه هناك مبادئ أخرى".[3]

خلاصة ما تقدم يمكن القول إنّ جون سيرل يعدّ من أهم التداوليين الذين اهتموا بالاستعارة و بكيفية تأويلها باستعمال التحليل العقلي في الربط بين المعنى الحرفي و المعنى الاستعاري.

---

[1])voir,Ibid,p159.
[2]) voir, Ibid , p160.
[3]) Ibid, p161.

3- (تطبيق)**ملامح الاستعارة التأسيسية لسيرل في تطبيقات الجرجاني:**

كما لاحظنا سابقا ، لقد اهتم كلٌ من الجرجاني و سيرل بتأويل الاستعارة ، فوضع كل واحد منهما مبادئ و أسس تساهم في تفسير الاستعارة و تحليلها، ولاحظنا أيضا أنّ المبادئ التي وضعها الجرجاني تختلف عن مبادئ سيرل ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هل هذا الاختلاف في المبادئ بين العالمين يؤدي إلى اختلاف في النتيجة أم لا ؟ و للإجابة عن هذا التساؤل ، ارتأينا أن نطبّق مبادئ سيرل على بعض الأمثلة التطبيقية التي اشتغل عليها الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز، لنلاحظ هل النتيجة التي نتوصّل إليها تماثل النتيجة التي توصّل إليها عبد القاهر كالآتي:

" رأيتُ أسدا"

هذه العبارة الاستعارية من نوع: "س هو ص"، س= الرجل، ص=الأسد، للوصول إلى تأويلها يجب البحث عن "س هو ر"، حيث "ر" هو المعنى الاستعاري.وذلك بإتباع الخطوات الآتية:

1-هذا المثال يعني فيه عبد القاهر بأنه رأى رجلا أسدا، و هذه العبارة ناقصة في معناها الحرفي، لأنّه لا يمكن أن يكون الإنسان أسدا، ومنه العبارة تحتاج تأويلا.

2- السّمات البارزة في الأسد: حيوان برّي، مفترس، آكل اللحوم، قوي البنية، شجاع، جريء.

3- نختار من مجموع قيم "ص" ، قيم "ر" الممكنة التي تتوافق مع طبيعة المستعار له"س": قوي ، شجاع، جريء.

ومنه العبارة "رأيت أسدا" استعارة غرضها **وصف الرجل بأنه يشبه الأسد في شجاعته وجرأته و قوته** .

وصلنا إلى هذه النتيجة عن طريق استخدام المبدأ الثاني حيث خصائص "ر" :(القوة، الشجاعة، الجرأة) خصائص بارزة و معروفة في "ص" =الأسد.

وهذا التأويل يعادل ما وصل إليه عبد القاهر حين يقول:"**و غرضك أن تثبت للرجل أنّه مساوٍ للأسد في شجاعته و جرأته، وشدة بطشه، و إقدامه...**"[1].

زِمامُها"بيد الشمال"وغداة ريح قد كشفتُ و قرّةٍ إذ أصبحت

مبدئيا يمكن القول أنّ الشاعر استعار كلمة يد للريح ، بناءً على هذا نقول أنّ:
الريح= مستعار له، يد الإنسان= مستعار منه، ومنه س=الريح ، ص= يد الإنسان.

ولتأويل هذه الاستعارة يجب أن نتبع الخطوات الآتية:

1- "يد الشمال" عبارة ناقصة في معناها الحرفي ، لأن الشمال الذي يقصد به الشاعر "الريح" لا يمكن أن يكون له يد، وبالتالي العبارة تحتاج تأويلا.

2-السمات المميّزة لعمل يد الإنسان(قيم ص) : البطش، التقليب، التصرّف، سلطة التغيير، إدارة الأمور،الكتابة، المصافحة....

3- تحديد القيم الممكنة ل" ر" من مجموع قيم"ص"، حيث تشكّل قيم "ر" تصرّف الرياح:تقلّب الأشياء، وتغيّرها، وتحوّلها، وأحيانا تبطش بالإنسان و الحيوان و سائر المخلوقات حتّى الموت و الهلاك.

وبتطبيق المبدأ الخامس ، نجد أنّ **الريح لا تشبه يد الإنسان ، ولكن حال الريح أثناء تصرّفها و بطشها بالأشياء، يشبه حال اليد أثناء عملها و تصرّفها في الأشياء.**

وهذه النتيجة توصّل لها الجرجاني في تأويله حيث يقول:" **و إنما المعنى على أنّه أراد أن يثبت للشمال في تصريفها ...شَبَهَ الإنسان قد أخذ الشيء بيده يقلبه و يصرّفه كيف يريد، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد، استعار لها اليد**"[2]

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص401.
[2]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص404.

ولولا اعتصامي بالمنى كلّما بدا لي اليأسُ منها لم يقَّم بالهوى صبْري

ولولا انتظاري كلّ يوم جدَى غدٍ لراح بنعشي الدافنون إلى قبري

<u>وبسطُ جديد اليأس كفّيه في صدري</u>وقد رابني وهنُ الُمنى وانقباضُها

في هذه الاستعارة : المستعار له =اليأس، المستعار منه=فعل الكفين(البسط)،إذن س=اليأس، ص=فعل اليد .

1- في هذه العبارة، يريد الشاعر إسناد فعل بسط اليد إلى اليأس،وهذا غير ممكن واقعيا لأنه لايمكن لشيء معنوي القيام بفعل محسوس، ومنه العبارة ناقصة في معناها الحرفي وتحتاج تحليلا يفسرها استعاريا.

2- السّمات البارزة ل"ص" فعل بسط الكفين: التصرّف الكامل في الشيء المراد، والتحكم فيه، الوصول إلى جميع نواحيه وتمكنه.

3-تحديد قيم "ر" من قيم"ص" ،حيث تشكّل قيم "ر" فعل اليأس في جسم الإنسان: التمكّن، الوصول إلى جميع نواحيه.

لكن كيف يمكن الانتقال من علاقة فعل الكفين بالأشياء إلى علاقة فعل اليأس بالإنسان ؟.

للوصول إلى النتيجة، نستعين بالمبدأ السابع لسيرل كالآتي:

.وهذا التعريف يساعدنا في تخمين [1]يعرّف البسط على أنّه: النشر ، التوسع، المد... العلاقة"ر" وهي كيف يفعل اليأس في صدر الإنسان.

عمل اليد يختلف عن عمل اليأس لكن يتشابهان في مظهر: الانتشار و التوسّع و التمكّن من الشيء المراد.

ومنه الشاعر أراد في استعارته أنّ **يشبّه تمكن اليأس في صدر الإنسان بتمكن يد الإنسان في الأشياء.**

---

[1]) ابن منظور، لسان العرب،ص282-283.

وهذا ما وصل إليه الجرجاني في تأويله لهذه الاستعارة إذ يقول:"**أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه، و تمكّن في صدره، ولما أراد ذلك، وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء و بأنه متمكن منه**"[1]

جَدِعًاتَوْلبًا وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نواشِرُها تُصمِتُ بالماءِ

يعني الشاعر في بيته التولب بولد الفقيرة، ومنه س=ولد الفقيرة، ص=التولب.

1- هذه العبارة غبر مقبولة في معناها الحرفي،لأنّه لا يمكن أن يكون الإنسان حيوانا، ومنه نحتاج تأويلا.

2-البحث عن السمات البارزة في التولب؛قيم "ص": التولب هو صغير الحمار ونقول له أيضا الجحش، ضعيف البنية، صغر الحجم، بائس، ليس له قوّة، يستدعي الشفقة.

3- تحديد قيم"ر" الممكنة من مجموع قيم"ص" والتي تتوافق مع طبيعة "س": ضعيف، بائس، صغير، يستدعي الشفقة.

حسب المبدأ الثاني، قيم"ر" (الضعف، البؤس، الشفقة) صفات بارزة و معروفة لدى التولب، ومنه هذه العبارة أراد بها قائلها **وصف ولد الفقيرة بالضعف والبؤس والفقر و الجوع .**

وهي نتيجة تعادل ما أورده الجرجاني في تأويله لهذه العبارة الاستعارية حين يقول:" **فأجرى التولب على ولد المرأة، وهو لولد الحمار في الأصل، وذلك لأنه يصف حال ضُرٍّ و بؤسٍ، ويذكر امرأة بائسة فقيرة، والعادة في مثل ذلك الصفةُ بأوصاف البهائم، ليكون أبلغ في سوء الحال وشدة الاختلال**"[2]

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص422-423.
[2])عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ص21.

بما يحوي قلبهكلّمتني عيناه

مبدئيا يريد قائل هذه الاستعارة استعارة فعل الكلام لجارحة العين، ومنه المستعار منه=الكلام، المستعار له=العين. ومنه س=العين، ص=فعل الكلام.

1- العبارة ناقصة في معناها الحرفي،لأنه أسند فعل الكلام إلى جارحة العين، ومنه العبارة تحتاج تأويلا.

2- السمات البارزة في فعل الكلام: إفصاح الإنسان عمّا بداخله من انفعالات و شعور، التعبير عن مواقف و آراء شخصه.

3- تحديد قيم"ر" الممكنة للعين : تفصح وتظهر ما بداخلها عن طريق علامات و دلالات حسيّة أثناء نظرها.

للانتقال من علاقة فعل الكلام في الإفصاح إلى علاقة فعل العين في الإخبار،نستعين بالمبدأ السابع.

تعريف الكلام: هو الإفصاح و الإخبار و الكشف عما بداخل الإنسان.

وهذا التعريف يساعدنا في تخمين علاقة "ر" وهي كيفية عمل العين في الكلام.

هنا عملية الكلام تختلف عن علامات العين وحالها، لكن تشبهها في مظهر الإفصاح والإخبار و الكشف.

يمكن القول أن قائل هذه الاستعارة يريد أن **يشبه إفصاح العين عما بداخل قلب الإنسان بعملية الكلام التي يستعين بها المتكلم للإخبار عمّا بداخله.**

وهذا ما قاله عبد القاهر في تأويله :" **وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام، وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها و في نظرها و خواص أوصافٍ يُحدَسُ بها على ما في القلوب من الإنكار و القبول"**.[1]

[1])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص27.

[1] كُلَّ مُمَزَّقٍ "وَمَزَّقْنَاهُمْيقول تعالى:"

تحوي هذه الآية استعارة ، حيث استعار الله فعل التمزيق للعباد، ونحن نعلم أنّ فعل التمزيق يكون للأقمشة ، إذن س=العباد، ص=فعل التمزيق.

1- العبارة ناقصة في معناها الحرفي،ومنه تتطلّب تأويلا.

2- تمزيق الثوب: تفريق بعضه من بعض أو إبعاد بعضه عن بعض بقطعه.

3- تحديد قيم "ر" من قيم"ص" بما يتناسب مع طبيعة البشر:تفريق بعض الناس عن بعضهم.

في المبدأ السادس؛ "ص" مماثلة و مشابهة في معناها مع"ر"،لكن "ص" أي التمزيق عادة ما يكون لها معنى مقيّد في اللغة العربية ، حيث تستعمل للأقمشة، ومع ذلك يمكن استعمالها استعاريا في مواطن أخرى .

ومنه تأويل هذه الآية هو **أنّ الله عزّ و جل عاقب الكافرين بتفريقهم عن بعضهم البعض جزاءً لما صنعوا**.

وهذا التأويل يقترب كثيرا من تأويل الجرجاني حين يقول:"**يعدّ استعارة من حيث إنّ التمزيق للثوب في أصل اللغة إلا أنه ذلك راجع إلى الحقيقة، من حيث إنه تفريق على كل حال**".[2]

---

[1])سورة سبأ، آية19.

[2])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص31.

[1] الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ"النُّورَيقول تعالى:" وَاتَّبَعُواْ

في هذه الآية الكريمة استعارة، حيث س=الحجة، ص=النور.

1- هذه العبارة الاستعارية ناقصة في معناها الحرفي ، ومن أي وجهة يمكن القول أن الحجة التي أنزلها الله عل عباده تشبه النور، إذن تحتاج هذه الآية تأويلا.

2- السمات البارزة في النور: الجلاء، الإيضاح، البيان، الرؤية الواضحة.

3- تحديد قيم"ر"الممكنة(الحجة) من قيم"ص" : تُبِين، توضّح، جلاء الرؤية، تكشف الأمور.

حسب المبدأ الثاني خصائص "ر"(الجلاء، الإيضاح، الكشف، البيان) خصائص بارزة في النور ،ومنه تأويل الآية هو أنّ **الحجة التي أنزلها الله عل عباده هي كالنور الذي يهدينا و يكشف ويبيّن لنا الطريق الصحيح من الطريق الخاطئ.**

والجرجاني يقول أنّ هذه الاستعارة **الشبه فيها مأخوذا من الصورة العقلية حيث استُعير النور للبيان و الحجة الكاشفة عن الحقِّ، المزيلة للشكّ النافية للريب، لأن القلب إذا وردت عليه الحجة، صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور.**[2]

---

[1])سورة الأعراف، الآية 157.

[2])ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص33.

إذا ياسرتَه وإن عاسَرْتهُ فهو صاب<u>هو عسلٌ</u>

هذه الاستعارة من نوع"س هو ص"، حيث س=الرجل، ص=عسل، وللبحث عن "س هو ر"، نتبع الخطوات الآتية:

1- العبارة ناقصة في معناها الحرفي،لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان عسلا، وبالتالي نحتاج تأويلا.

2- السمات البارزة للعسل: حلو المذاق، يسرّ آكله و يرضيه، يبهجه بذوقه.

3- تحديد قيم"ر" الممكنة من مجموع قيم "ص" : يسرّ صاحبه، ويرضيه،ويبهجه.

حسب المبدأ الخامس لسيرل؛ الرجل لا يشبه العسل ، ولا نقول أنّه أصبح شبيها بالعسل، لكن ما نلقاه منه عند الرضى يشبه ما نلقاه من سرور و بهجة عند تناول العسل.

ومنه **الشاعر يصف الانسان في حالة الرضا بما تلقاه منه من سرور و بهجة.**

و الجرجاني يقول أنّه **ليس الغرض الحلاوة التي تصفها لك المذاقة، وإنّما المعنى أنّك تجد منه في حالة الرضا و الموافقة ما يملؤك سرورا و بهجة ، حسب ما يجد ذائق العسل من لذّة الحلاوة.**[1]

[1])ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص35.

في قولك:"نجوم الهدى"

هذه الاستعارة من نوع "س هو ص"، حيث س=أصحاب النبي (ص)، ص=النجوم.
وللوصول إلى "س هو ر" نتبع الخطوات الآتية:

1- هذه العبارة ناقصة في معناها الحرفي، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان نجما، إذن الاستعارة تحتاج تأويلا.

2- السمات البارزة للنجوم: كواكب مضيئة، نهتدي بها في ظلام الليل، عالية.

3- قيم"ر" المكنة التي تتوافق مع طبيعة الانسان: الاهتداء .

حسب المبدأ الخامس ؛ أصحاب الرسول لا يشبهون النجوم ، ولكن بصالحهم أصبحوا قدوة للناس فاتّبعوهم، **ومنه حالتهم هذه تشبه حالة النجوم أثناء الليل حيث يهتدي بها الناس في الظلام للوصول إلى غايتهم** .

و يقول الجرجاني في هذه الاستعارة:"**المعنى أن الخلق بعد رسول الله (ص) اهتدوا بهم في الدّين كما يهتدي السارون بالنجوم**"[1]

[1])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص36.

يقول النبي(ص):"المؤمنُ مرآة المؤمن"

هذه الاستعارة من نوع"س هو ص"، حيث س=المؤمن، ص=مرآة، تكون مراحل تأويلها كالآتي:

1- العبارة ناقصة في معناها الحرفي، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان مرآةً، ومنه تحتاج الجملة تأويلا.

2- السمات البارزة للمرآة: عاكسة لما أمامها ، تكشف، تبيّن ،توضّح الصورة.

3- تحديد قيم "ر" الممكنة حسب طبيعة الإنسان: يكشف، يبيّن ، يوضّح .

حسب المبدأ الخامس لسيرل، الإنسان لا يشبه المرآة ، وإنّما في حال إيمانه واتّصافه بالأخلاق الحميدة يعكس صورة الإسلام في شخصيته فيتبعه أخوه المؤمن، ففي هذه الحالة يصبح شبيها بعمل المرآة .

و هذا يشبه ما توصّل إليه عبد القاهر في تأويله لقول الرسول(ص)، حين يقول:**"هي أنّ المؤمن ينصح أخاه ، ويريه الحسن من القبيح، كما تُري المرآة الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن و خلافه"**[1]

الخلاصة:

كما هو واضح، النتائج التي تحصلنا عليها بتطبيق مبادئ سيرل في تأويل الاستعارة جاءت موافقة لتأويلات الجرجاني، وهذا يعني أنّه بالرغم من اختلاف طريقة التأويل من خطوات و مبادئ بين العالمين كانت النتيجة مماثلة و مشابهة في أغلب الأحوال. لأنه كليهما اعتمدا على الاستدلال العقلي في تأويلهما الاستعاري.

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص144.

الـخـاتـمـة

خلاصة بحثنا مجموعة من النتائج هي كالآتي:

- يعدّ التأويل مطلبا ضروريا يحتاجه كلّ إنسان لفهم العالم من حوله، ويساعد الإنسان في بلوغ هذا المطلب عقله التأويلي الذي جهّزه الله بمعطيات تؤهّله لهذه الوظيفة.

- أدرك الإنسان منذ بداية التاريخ أهمية التأويل في حياته، ممّا دفعه إلى الاهتمام به و بدراسته وفهم حقيقته إلى يومنا هذا، فانتقل التأويل من مجاله الضيّق المتعلّق بتفسير النصوص الدّينية إلى علم يهتم بجميع النصوص باختلاف أنواعها.

- تختلف النظرة التأويلية العربية عن الغربية في كون الأولى تنطلق من واقع ديني روحي، أمّا الغربية فتقوم على الواقع الحسّي.

- انتهى جلّ العلماء باختلاف منطلقاتهم إلى أنّ مفهوم التأويل هو : عمليات عقلية استدلالية يقوم بها العقل لفهم المعاني و الدلالات الخفية للعلامات بنوعيها اللغوية و غير اللغوية.

- تعتبر نظرية التلقّي آخر محطّات التأويل التي اهتمّت بالمتلقّي باعتباره العنصر الفعّال في عملية التأويل عن طريق فعل القراءة.

- تدعو نظرية التلقّي إلى اختلاف التأويلات و تعدّدها باختلاف مستويات القراءة و الفهم بين المتلقّين، لكن في حدود معطيات النص و قصديته، فمن هذا المنطلق بادر الكثير من العلماء العرب منهم و الغرب بوضع ضوابط و أسس تحكم الإجراء التأويلي و عمل المؤوّل لتفادي التأويلات الفاسدة أو الخاطئة.

- تلتقي التداولية في كثير من مباحثها بالبلاغة العربية، حيث اهتمت كلاّ منهما بقضايا المتكلّم و المخاطَب والخطاب بهدف إتمام العملية التواصلية و إنجاحها.

- يعدّ مبحث التأويل الاستعاري من بين المباحث المهمّة التي تلتقي فيها كلّ من البلاغة و التداولية، حيث اهتمّ به علماء كُثُر أمثال الجرجاني عند العرب و سيرل عند الغرب.

- الاستعارة عند الجرجاني ضرب من المجاز و تعتمد التشبيه في طريقة الإثبات لكنها تختلف عنه في درجة الإثبات.

- اهتم الجرجاني بتأويل الاستعارة ، حيث وضع أسس و مبادئ تضبط عملية التأويل و عمل المؤوّل .

- التأويل عند الجرجاني طلب الحقيقة عن طريق العقل لا يتمّ إلاّ بمؤوّل ذو كفاءة معرفية عالية، ودراية تامّة بأساليب القياس و طرق الاستنباط و الاستدلال.

- بالمقابل درس جون سيرل الاستعارة ضمن ما سمّاه "الأفعال غير المباشرة".

- انطلق سيرل في بحثه لماهية الاستعارة بسؤال جوهري مفاده: كيف يمكن قول شيء وتعني شيئا آخر؟.

- رفض سيرل فرضية ازدواجية المعنى داخل الجملة (معنى حرفي/ معنى مجازي).

- ميّز سيرل بين معنيين للجملة: معنى تلفّظ المتكلّم و معنى العبارة، والاستعارة عنده تتجسّد في معنى تلفّظ المتكلّم.

- اقترح سيرل في تأويله للاستعارة ثلاث مراحل أساسية يجب على المؤوّل أن يمرّ بها للوصول إلى المعنى الاستعاري. ثم اقترح تسع مبادئ يتمّ على أساسها استدعاء المعنى الاستعاري انطلاقا من المعنى الحرفي للعبارة عن طريق الاستدلال العقلي.

- بالرغم من اختلاف منهج كلّ من الجرجاني و سيرل في تأويل الاستعارة، إلاّ أنّهما يتّفقان في استعمال الاستدلال العقلي كأداة رئيسية للوصول إلى المعنى الاستعاري، والدليل على ذلك النتائج التوفيقية المتحصّل عليها في تحليلنا لاستعارات الجرجاني بأدوات سيرل.

قائمة المصادر
و المراجع

- القرآن العظيم.

قائمة المصادر:

1- أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة و الشعر ، مطبعة محمود بك ، ط1 ،1320ه.

2- أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق و تعليق:محمد سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت، ج2، ط1 ، 1997.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، تحقيق سامي بن محمد السّلامة ، ج6 ، دار طيبة للنشر و التوزيع ، ط2، 1999.

4- محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج9 ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط2 ، 1972.

5- محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ،ضبطه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ،1987.

6- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، دار إبن الجوزي للطبع و النشر و التوزيع ، القاهرة ،ط 1،2010.

7- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية،بيروت ،لبنان،2007.

8- أبو الفتح عثمان بن جنّي ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ج1.

9- ابن رشد ، بداية المجتهد و نهاية المقتصد ، شرح و تحقيق و تخريج عبد الله العبادي ، دار السّلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، مجلّد 3 ،ط1 ،1995.

10- ابن رشد ، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال ، إشراف محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،لبنان ط1 ،1997.

11- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني و البيان و البديع ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،2003 م.

12- ضياء الدين بن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة.

قائمة المعاجم:

1- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، ج1 ،1972.

2- أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، مجلد1 ،ط1 ،مصر ،2008.

3- أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، مج 2 ، تعريب خليل أحمد خليل ، إشراف أحمد عويدات ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2001.

4- جميل صليبا،المعجم الفلسفي ،ج2،دار الكتاب اللبناني ،لبنان، 1883.

5- ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي البكير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مج1.

6- مراد وهبة ، المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية) ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، 1998 م.

7- أبو القاسم الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج1 ،ط1 ، 1998.

8- الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير ، مصر ، 2004.

قائمة المراجع:

1- أحمد مطلوب،عبد القاهر الجرجاني بلاغته و نقده، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1972م

2- أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2010

3- أحمد عبد المهيمن، إشكالية التأويل بين كل من الغزالي و ابن رشد، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، مصر،ط1 ،2001 م.

4- أحمد عبد السّيد الصاوي ، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين و النقاد و البلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،1988م.

5- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، ترجمة و تقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان،ط2، 2004م.

6- بول ريكور،صراع التأويلات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ترجمة منذر عياشي ،بيروت، لبنان،ط1، 2005م.

7- بسام قطوس ،المدخل إلى مناهج النقد المعاصر،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،مصر،ط1، 2006م.

8- جابر عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط 3، 1992م.

9- جون سيرل، العقل و اللغة و المجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2006م.

10- جورج لايكوف و مارك جونسن ، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر،ط2، 2009م.

11- جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية و آدابها ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، بن عكنون ، الجزائر ،1992 م.

12- بوجمعة بو بعيو ،آليات التأويل و تعددية القراءة مقاربة نظرية نقدية ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2009 م.

13- هانز غيورغ غادامير، فلسفة التأويل(الأصول، المبادئ، الأهداف)، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط2 ،2006م.

14- حافظ إسماعيل علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2011م.

15- حميد لحمداني ، القراءة و توليد الدلالة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ،2003 م.

16- حنيفي بناصر ، مختار لزعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 م.

17- حسن بن أحمد بن عائشة ، مستويات تلقي النص الأدبي (رحلة السندباد البحري الأولى أنموذجا) ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2012 م.

18- طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين و البلاغيين العرب ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1994 م.

19- محمد الولي ،الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية ،دار الأمان ،الرباط ،ص1 ، 2005م.

20- محمد سالم سعد الله ،مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني نموذجا ،عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،الأردن،ط 1، 2007م.

21- محمد عبد الرزّاق عبد الغفّار ، عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي الحديث دراسة في إشكالية التأويل ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،الأردن،ط1 ،2002م.

22- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 م.

23- ، مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، دار الطليعة للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ،ط1 ، 2005م.

24- مختار لزعر ، التأويلية من الرواية إلى الدراية،ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ،الجزائر2007م.

25- نبيهة قارة ،الفلسفة و التأويل ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت لبنان، ط1، يناير1998م.

26- نصر حامد أبو زيد ، إشكالية القراءة و آليات التأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط 7 ، 2005 م.

27- نصر حامد أبو زيد ، التأويل في كتاب السيبويه ، من كتاب الهرمينوطيقا و التأويل (تأليف مشترك من باحثين)، دار قرطبة للطباعة و النشر، الدار البيضاء ، ط2، 1993م.

28- نصر حامد أبو زيد، الخطاب و التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط3، 2008 م.

29- سامح الرواشدة ، إشكالية التلقي و التأويل ، منشورات أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، ط1 ، 2001م.

30- سامية بن يامنة، الاتصال اللساني و آليات التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلا ل العسكري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 1، 2012م.

31- سعيد بن كراد، السيميائيات و التأويل،مدخل لسيميائيات ش .س. بورس ،المركز الثقافي العربي، المغرب،ط 1، 2005م.

32- عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا ، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير ، رؤية R للنشر و التوزيع ، 2007 م.

33- عاطف أحمد الدرابسة، قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل ،عالم الكتب الحديث، الأردن ،ط1 ،2006م.

34- عبد الكريم شرفي ، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2007 م.

35- عبد الملك مرتاض ، نظرية القراءة ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2003 م.

36- عبد الرحيم محمد الهبيل،فلسفة الجمال في البلاغة العربية،الدار العربية للنشر و التوزيع ،مدينة نصر،ط1 ،2004 م.

37- عطية أحمد أبو الهيجاء ،معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني بين النظرية و التطبيق ،دار الخليج ،عمان ،الأردن ،ط 1، 2010م.

38- العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ،2011 م.

39- علي حرب، التأويل و الحقيقة، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،2007م.

40- عمارة ناصر ، اللّغة و التأويل ،مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007 م.

41- عمر معراجي ، النص بين الدلالة و التداول ، دار القدس العربي ، وهران ، الجزائر ، 2011م.

42- ، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا ،ط1، 2007م.

43- روبرت هولب ، نظرية التلقي مقدمة نقدية ، ترجمة عز الدين إسماعيل ،المكتبة الأكاديمية ، ط1 ،2000م.

44- تيري إيغلتون ، نظرية الأدب ، ترجمة ثائر ديب ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، 1995م.

45- تراث حاكم الزيادي ، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني ،دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ،الأردن ،ط 1، 2011م.

46- خليفة بو جادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ،2009م.

المرجع الأجنبي:

-John R.Searle , sens et expression ,études de théorie des actes de langage, traduction et préface par Joëlle Proust, les éditions de minuit, paris, 1992.

قائمة رسائل الدكتوراه و الماجستير:

1- ، امباركة عليوات ، التأويل الاستعاري عند عبد القاهر الجرجاني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، فرع الأدب العربي ، تخصص البلاغة و الأسلوبية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة ورقلة ، الجزائر ،2011.

2- جميلة كرتوس،الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية "لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة و الأدب

العربي،فرع تحليل الخطاب،قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الانسانية، جامعة تيزي وزو،2011

3- لويزة شقرون ، قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص بلاغة وخطاب ، قسم اللغة العربية ، جامعة تيزي وزو ، الجزائر،2013.

4- لطيفة عناياتي، أوستين و سيرلي في حوارات موسى عليه السلام ، دراسة وصفية مقارنة،بحث مقدم للحصول على درجة سرجانا (s1)، قسم اللغة العربية و آدابها كلية العلوم الإنسانية و الثقافية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج،2010

5- ، محمد مدور ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم –سورة البقرة- دراسة تداولية ، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اللسان العربي ، جامعة الحاج لخضر ، كلية الآداب ، باتنة ، 2014/2013

6- مليكة دحمانية ، فصول في القراءة و التأويل من خلال نماذج غربية معاصرة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي ، قسم اللغة العربية ، جامعة الجزائر 2 ، 2010 – 2011

7- عارف بن حديد ، التأويل عند هانز جورج غادامير ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ، قسم الفلسفة كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة قسنطينة ،2008 -2009

قائمة المجلات و الدوريات:

1- باديس لهويمل ، مقال(التداولية و البلاغة العربية) مجلة الخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ، الجزائر .

2- وشن دلال،جامعة بسكرة/لحمادي فطومة،جامعة تبسة،مقال(تداولية الاستعارة الحجاجية"لنص الرثاء" متمم بن نويرة-أنموذجا-،مجلة الخبر،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الأدب العربي،جامعة بسكرة.

3- لخذاري سعد، الاستعارة وحدة في التسمية و اختلاف في الحدود و المفاهيم، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر، مجلة الأثر،العدد20، جوان2014

4- محمد مدور،نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي و المناهج الحديثة ، دراسة تداولية ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،ع16 ، غرداية ، الجزائر 2012 .

5- سليمان بن سمعون ، مقال(البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية و علم النص) ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، غرداية ، الجزائر.

6- عمر بلخير ، نظرية الأفعال الكلامية و إعادة قراءة التر ا ث العربي ، مجلة الأثر ، أشغال الملتقى الثالث في تحليل الخطاب ، تيزي وزو ، الجزائر .

<u>شبكة الانترنيت:</u>

1-عبد القادر فيدوح ، مقال(نظرية التأويل في الفكر العربي) ، من موقع:
http://mohamedrabeea.com/books/book1_7330.pdf

2- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

فـهـرس الـمـوضـوعـات

مقدمة.....أ-ج

مدخل تاريخي نقدي لظاهرة التأويل.....04

الفصل الأول (نظري): التأويل بين البلاغة و التداولية

1 - مفهوم التأويل :.....16

أ)- مفهوم التأويل لغة.....16

ب)- مفهوم التأويل اصطلاحا.....18

2- القراءة و تعدّد التأويلات.....24

3- البعد التداولي في البلاغة العربية.....31

الفصل الثاني (نظري تطبيقي): الاستعارة التأويلية بين الجرجاني و سيرل

1- الاستعارة التأويلية عند عبد القاهر الجرجاني.....41

2- الاستعارة التأويلية عند جون سيرل.....51

3- ملامح الاستعارة التأسيسية لسيرل في تطبيقات الجرجاني (تطبيق).....58

خاتمة.....69

قائمة المصادر و المراجع.....71

فهرس الموضوعات.....80